مجموعة قصص مختارة
من كتاب

نـار
على قمـة جبـل

بـقـلـم:
" كلوريا فيضي "

ترجمها من الانكليزية الى العربية
سيفي سيفي
2007م

مقدمة المؤلفة

اقتبست أحداث هذا الكتاب من حياة أناس عاشوا في زماننا هذا وانحدروا من مختلف طبقات المجتمع، فمنهم الأشراف ومنهم الفقراء، البسطاء والمتعلمون، كبار العلماء والأميون، لم يكن قاسمهم المشترك إلا شدة الايمان بالله فقط. انهم خلقوا

من تجلي إشراقات ذلك اليوم الذي ستؤسس فيه مملكة الله الموعودة على الارض وتتوحد قبائلها وأديانها في أخوّة إنسانية حقيقية. ومع انهم لم ولن يعيشوا ليشاهدوا تحقق مجيء ذلك اليوم الموعود، إلا انهم ضحوا بكل ما ملكوا في سبيل نداء الوحدة الانسانية، وليبرهنوا لكل الجاحدين والمكذبين في العالم على امكانية شرب الذئب والحمل من إناء واحد، مستمدين إلهامهم من رسول الله الذي يأتي في كل زمان.

في سنة 1844م، أعلن شاب عمره خمسة وعشرون عاما من مدينة شيراز في ايران، انه المبشر بمجيء شخص آخر عظيم سيأتي من بعده، بشرت به جميع الديانات السابقة ومهدت له. ومما قاله هذا الشاب الذي لقَّب نفسه (الباب)، ان جميع الشرائع السماوية السابقة قد وصلت الى غاياتها. كما بشّر بمجيء عصر جديد لم يسبق للبشرية أن عاشت مثل عهوده، وطلب من اتباعه من خلال أحكام شريعة سماوية كاملة تنزيه أنفسهم وتقديسها والاستعداد لاستقبال (من يظهره الله).

ان حياة حضرة الباب المقدسة وتعاليمه الالهية الرائعة أكسبته آلاف الأتباع من أهل بلاده. فقام عليه رجال الدين بقوة مستندين على سلطتهم القوية التأثير على حكومتهم وعلى جموع الغوغاء من حولهم، وبدأوا هجوماً واسعاً شاملاً على الدين الجديد وعلى أتباعه، فعذِّب الآلاف من البابيين حتى الموت ببشاعة تخجل كتب التاريخ من سردها. وفي النهاية أفتى رجال الدين بقتل الباب نفسه وتم تنفيذ الحكم علناً بحق ذلك الرسول الشاب المبجل الذي شهد على صدق دعوته كبار أصدقائه وأعدائه، متوخين من عملية إعدامه إطفاء شعلة دعوته معه. وبذلك فدى حضرة الباب نفسه بكل شوق من أجل ذلك الرسول الذي سيظهر قريباً بعده.

وفي بغداد.. وفي سنة 1863م، أعلن حضرة بهاءالله أنه هو ذلك الرسول العظيم الذي بشرت بظهوره جميع الكتب الالهية السابقة في نهاية الزمان، وأن أحكام شريعته هي التي ستوحد البشرية جمعاء وتؤسس جنّة الله الموعودة على الارض.

وفيما بعد.. أُطلق على أتباع حضرة الباب الذين عرفوا حضرة بهاءالله وآمنوا به اسم (البهائيين). وكان تأثير تعاليم حضرة بهاءالله سريعاً بين مختلف طبقات الناس من أتباع فرق الديانات المختلفة، بحيث نسى كبار الشخصيات والعامة والقرويون والأميون من مسلمين ونصارى ويهود وزرادشتيين، تباين عقائدهم وفوارقهم الاجتماعية والطبقية في محضره المبارك، وأصبح الجميع متفقين متحدين مثل عائلة واحدة، بسبب ما زرعته تعاليمه في أراضي قلوبهم من محبة حقيقية.

ازداد اعراض رجال الدين المتعصبين الذين رغبوا في إطفاء نار الايمان التي أشعلها حضرة الباب في قلب ايران تجاه قوة نفوذ تعاليم حضرة بهاءالله، وتعاهدوا على ان لا يهدأوا حتى يقتلعوا الحركة الجديدة من بينهم. فقاموا على التشكيك في حقيقة نقاوتها واستعملوا كل وسيلة ممكنة لتشويه اسمها وإثارة جهّال الناس ضد اتباعها. فعانى حضرة بهاءالله بنفسه من العذاب، وسجن ونفي عدة مرات من بلد الى اخر. إلا أن أي قوة على الأرض لم تستطع ايقاف تقدم أمره المبارك.

بعد صعود حضرة بهاءالله من هذا العالم في سنة 1892م في مدينة عكاء في فلسطين حيث كان سجينا منفياً، عيّن ابنه حضرة عبدالبهاء مركزاً لعهده من بعده لقيادة الأمة البهائية وإدارة شؤونها، لذا توجه جميع البهائيون اليه وتفانوا في طاعته. ولقد شارك هذا الإبن الجليل أباه سجنه ونفيه بكامل الرضا منذ طفولته، وبذلك جنى محبة واحترام وطاعة جميع البهائيين في العالم، وكرّس كامل حياته لخدمة الانسانية ورفع شأن الدين الجديد، واكسبته حكمته ومحبته الجمّة لأتباعه آلاف العشاق في جميع أنحاء العالم وعرف بين الجميع بحضرة المولى ووالد اليتامى وصديق الفقراء.

ونتيجة لقيادة حضرة عبدالبهاء المعصومة، انتشر البهائيون في جميع أنحاء العالم ونشروا رسالة حضرة بهاءالله في شتى أرجاء المعمورة.

ان هذا الكتاب يتعامل مع أحداث حياة بعض أوائل المؤمنين الذين نشروا الأمر المبارك في مكان ظهوره ويقص حكايات بعضهم نقلا عن شهود عيان لها والتي ستظل ذكراها وذكراهم عالقة في أذهان رفاقهم المؤمنين في كل مكان وزمان.

وكما قرأنا وسنقرأ عن حياة أوائل المؤمنين البهائيين، نلاحظ أنهم يتشابهون في الكثير من الصفات مع من سبقهم من أوائل المؤمنين في الديانات السابقة، حيث أن لهم نقائصهم ومواطن ضعفهم البشرية. بينما تكمن عظمتهم في قوة ايمانهم بحضرة بهاءالله ورسالته العظيمة. وهذا هو سر انتصارهم رغم ضعفهم.

مقدمة المترجم

بقيت أحداث حياة أوائل المؤمنين بكل دين ظهر على الأرض ومعاناتهم، ومنها أوائل المؤمنين بالديانتين البابية والبهائية في منتصف القرن التاسع عشر، نورا يضيء سبيل الإيمان للمخلصين وإكسير حياة للموقنين ممن آمنوا بذات الديانات الإلهية وحملوا شعلتها من بعدهم. وفي هذا الكتاب نجد تكملة لقصص أولئك المؤمنين الأبطال الأوائل تتكرر مرة أخرى مثل من سبقهم. لذلك أحببت أن أترجمها وأقدمها هدية لجميع الشباب واليافعين ولآباء وأمهات الأطفال ليقرأوها لأولادهم في أوقات فراغهم حتى يستنيروا بنور هديها وليكونوا أحفاد أولئك الأبطال الذين كانوا من أسباب وراثتنا لإسم هذا الأمر المبارك العظيم. إنها حكايات واقعية وقصص حقيقية حصلت قبل زمن قريب ليس بالبعيد ولم يمض عليه إلا ما يقارب القرن أو أكثر، سجلها مؤرخو هاتين الديانتين بعدما سمعوها من أفواه المشاركين فيها أو ممن شهدوا أحداثها ووقائعها بأم أعينهم. فهذه القصص والحكايات تجسّم وتصوّر ما كان يحدث للمؤمنين الأوائل من إزدراء وضرب وتعذيب واضطهاد، وقتل وتهديم بيوت وحرقها، وتشريد وضياع، ومعاناة من خوف وجوع، وسجن في زنزانات سجون وقلاع مظلمة قذرة تمتلئ بمختلف أنواع الحشرات والقوارض وبصحبة عتاة المجرمين والقتلة

وقطاع الطرق، ثم تصوّر وتجسّم ثباتهم ورسوخهم وعزيمتهم وإيمانهم حتى والسيوف والخناجر تعبث تمثيلا بأعضاء أجسادهم وحناجرهم التي بقيت تشكر الله ربهم لآخر لحظات التقاط أنفاسهم، قصصا لم تخطر على بال أحد أنها قد حصلت بالفعل بهذه الأشكال المرعبة والطرق المخيفة على يد أناس جهلة حاقدين كانوا وما زالوا يتواجدون في زمان ظهور كل مظهر إلهي (رسول) من عند الله، ليطفئوا بأفواههم وأيديهم وأسلحتهم أنوار الله المحيية للنفوس والأرواح، ويأبى الله في النهاية إلا أن يتم نوره ولو كرهوا وعاندوا وكذبوا.

المترجم
سيفي سيفي النعيمي

(1)
"حكاية نعيم"

كان نعيم الشاعر البهائي المشهور صديقاً حميماً للأخوين نيّر وسينا. فمعرفتهم ببعضهم كانت تمتد في عمقها الى أيام طفولتهم حيث عاشوا معا في قرية صغيرة قرب مدينة أصفهان بين بعض المسلمين المتعصبين ممن كانوا يعتقدون بالخرافات كثيراً. وخلال فترة شبابهم ونتيجة لتقارب شخصياتهم ورغباتهم، نمت بينهم صداقة حميمة تشكلت على أثرها مجموعة صغيرة من الأصدقاء راحوا يقضون أوقاتهم بقراءة قصائد وأشعار بعضهم البعض ويناقشون شؤون الحياة المختلفة.

كان اهتمامهم بالدين كبيراً وواضحاً، ومن خلال دراساتهم العميقة ومناقشتهم لهذا الموضوع، قرروا البحث عن حقيقة الكثير من المسائل الغامضة باستقلالية تامة، واتفقوا على أنه لو حدث وتوصل أحدهم الى هدفه واقتنع به تماماً، فعليه الوفاء بالتزام قطعوه على أنفسهم بضرورة إخبار بقيتهم.

كان أول من آمن بالديانة البهائية هما الأخوين نيّر وسينا عندما كانا في سفرة لهما خارج قريتهما. وإيفاءً للعهد، عادا ليبشرا أصدقاءهم بالخبر. استمع نعيم اليهما وهما يقصّان عليه النبأ بسرور واضح، فآمن خلال وقت قصير، تبعه واحد او اثنان من الاصدقاء. أما البقية فعارضوهم وابتعدوا عنهم وعن كل من تكلم لصالح البهائيين.

ومنذ ذلك الحين، انتشرت داخل القرية شائعات تقول ان نيّر وسينا ونعيم اضافة الى عدد من الشبان تركوا دين الاسلام وانضموا الى اتباع الدين الجديد، وهم الآن مشغولون بتضليل الآخرين. لكن أكثر الناس لم يصدقوا هذه الشائعات بالاضافة الى ان أعداءهم لم يتمكنوا من اثبات شيء ضدهم.

كان من ضمن سكان القرية، إثنان من رجال الدين المسلمين اشتهرا لدى البهائيين بإسمي (الذئب) و (إبن الذئب) لشدة عدائهما للدين الجديد وأتباعه، وكانا هذين الرجلين يتصرفان نيابة عن مجتهدي اصفهان المتعصبين، واثقين تماماً من موافقتهم على كل مكيدة يدبرانها ضد أتباع الدين الجديد.

قرر هذان المجتهدان تدبير مكيدة شيطانية يتمكنان بها من إدانة جميع بهائيي قريتهما، وأقنعا شقيق أحد البهائيين التظاهر بالايمان مثل أخيه للحصول على نسخة من كتاب بهائي ليتخذونه دليلاً ضدهم. ونجحت الخطة وحصلوا على كتاب "الايقان".

حمل أحد الرجلين الكتاب في صباح اليوم التالي وتسلق منارة مسجد القرية وبدأ بالصراخ والعويل وهو يصيح:

هلك دين الله ... مات دين الله الحق...

فأسرع أهل القرية الى المسجد يستطلعون الخبر. وبمجرد ان شاهد الرجل إلتفاف جموع الناس حوله، راح يصرخ بحالة هستيرية:

يا ناس.. إن دين أجدادنا قد مات ونسي.. انظروا..

ورفع كتاب الايقان عالياً وقال:

هذا كتاب أتباع الباب، وجدناه في منزل الأخوين نيّر وسينا الكافرين. لقد قرأت بنفسي أول صفحتين منه، وأقسم بالله العظيم، لو أني أكملت قراءة الصفحة الثالثة منه لآمنت به! احذروا هؤلاء الكفرة الملعونين، وتجنبوهم قبل ان يجتثوا دين الله من هذه القرية.

انطلت الخدعة على الناس ونسى غالبيتهم علاقات الصداقة والقرابة فيما بينهم، وحلَّ محلها في قلوبهم نيران كراهية البهائيين التي عمت بصائرهم عن احترام وتقدير موازين العدل والانصاف. وبات من الواضح أنه لن يشبع وحش ضغينة هؤلاء الغوغاء سوى موت كل من تجرأ الانضمام الى الدين الجديد.

أخيراً.. صادق مجتهدو الدين في اصفهان على فتوى إعدام خمسة من بهائيي تلك القرية، وكان من ضمنهم الأصدقاء الثلاثة نير وسينا ونعيم. وكانت ليلة القبض عليهم ونقلهم وتسليمهم الى سلطات الحكومة، ليلة لا مثيل لها. فلم يبخل أهل قريتهم عن المشاركة في عقابهم ساعة وصول قرار ارسالهم الى سجن مدينة اصفهان وتسليمهم لحاكمها لتنفيذ الحكم، فجُرِّد الجميع من ملابسهم وأوسعوا ضرباً وركلاً حتى ساعات الفجر الأولى.

وقال نعيم فيما بعد وهو يشرح كيف تورمت وصُبغت أجسادهم بجروح وألوان شتى نتيجة الضرب والتعذيب، وكيف وضعت قبعات ورق طويلة على رؤوسهم زيادة في الاستهزاء والسخرية منهم، وكيف ربطت أكتافهم بعضها لبعض وسيقوا شبه عارين في شوارع القرية والغوغاء تحيط بهم من كل جانب تتقدمهم مجموعة من عازفي الموسيقى وقارعي الطبول. واضاف انه رغم كل العذاب الجسدي الرهيب الذي لاقيناه وتعرضنا له، إلا أن روح الدعابة والنكتة لم تكن تفارقنا، وكنا ننفجر ضاحكين في بعض الأحيان عندما يشاهد أحدنا منظر صاحبه.

وفي النهاية، وفي محاولة لتحريك الرحمة في قلب "الذئب"، فكّرت زوجات السجناء الذهاب الى بيته وهن بصحبة أطفالهن ليرجونه ويطلبن منه الشفقة والرحمة بالاطفال واطلاق سراح آبائهم. لكن ذلك الظالم الشرير، وبدلا من الاستجابة لتوسلهن، أمر برميهن جميعا خارج منزله.

لكن، ولحسن الحظ، تدبَّر بعض الاصدقاء أمر اطلاق سراح السجناء عند حاكم سجن اصفهان. وكان آخر من غادرا السجن هما الأخوين نيّر وسينا بعدما فقد الأمل تقريبا في نجاتهما. وتدخل نائب حاكم المدينة بنفسه لدى الحاكم باعتباره صديقاً

للاخوين وعلى معرفة سابقة بهما واقنعه بفسخ قرار الاعدام الصادر بحقهما من المجتهدين واطلاق سراحهما.

لكن رجال الدين شعروا بخيبة أمل كبيرة ولم ينسوا هذه الحادثة النادرة، وتعاهدوا ان لا يستريحوا حتى ينتقموا في المرة القادمة ويحققوا هدفهم.

(2)
"انتقام المجتهدين"

عندما أحاط الغوغاء الغاضبين بيت عائلتي الأخوين البهائيين نيّر وسينا وهم يهددوهم بالرجم حتى الموت، كان بالامكان سماع أصوات صراخهم وصياحهم من مسافة بعيدة.

ومن الغريب أن هذين الشاعرين اللطيفين كانا الى قبل مدة قليلة، أصدقاءً لجميع سكان القرية، أما الان، فقد أصبحا منبوذين من الجميع لتجرئهما على اعتناق الديانة البهائية، لذا فان أسوأ أشكال التنكيل وأقسى أنواع التعذيب هو أمر قليل بحقهما.

بعد ان صعب على المهاجمين تسلق جدار البيت العالي أو كسر بابه الخشبي المتين، صرخ أحدهم:

"لنحرق باب البيت".

كان هذا ما يدور خارج البيت، أما في داخله، فكان الأطفال والنساء يرتجفون خوفاً وهلعاً من هول الموقف والرجال حائرون كيف يتصرفون للتخلص من هذه المصيبة.

فلقد تنبأت هذه العائلة بما سيحدث لها منذ عدة أيام، عندما هاجم أهل القرية إبن سينا الكبير وأوسعوه ضرباً مبرحا. وعلى أثر تلك الحادثة، قرر سينا وولده مغادرة القرية وتركها سراً في ظلام الليل، على ان يتبعهما فيما بعد نيّر وبقية أفراد العائلة. وهذا ما كان يقلل على المحصورين في البيت أثر وقع المصيبة المحيطة بهم الآن، فالعائلة كانت مدركة تماماً بما سيصيب نيّر من سوء إذا تمكن المهاجمون من اقتحام البيت والامساك به.

لكن شخصاً واحداً فقط من هذه العائلة، لم يكن مستسلماً لليأس والنواح ولم يضع وقته سدى، إنها زوجة نيّر. فلقد شرعت هذه الزوجة الشجاعة بعمل ثقب في جدار المنزل، لعلّها تجد طريقاً الى مخزن بيت جارهم المنشغلين بما يجري خارجاً.

كانت يداها ملطختان بالطين والتراب وصوتها مسموعاً وهي تبتهل الى الله وتطلب منه أن لا ينتبه أحد لما تفعله حتى تنتهي من مهمتها. وحالما أصبحت الكوّة كافية لمرور جسم زوجها نيّر، نادته وطلبت منه باصرار حازم الاسراع للالتجاء الى بيت جارهم، وعندما فعل، عادت لتغلق الفتحة بسرعة كبيرة وتخفي معالمها ببعض قطع الأثاث وهي تتمنى له النجاة والسلامة.

نهضت هذه الزوجة الشجاعة من مكانها ونفضت التراب عن يديها وملابسها ورتبت من هيئتها، ثم توجهت الى سلم بيتها لتصعده ولتقف بشجاعة أمام جموع المهاجمين الهائجين في الشارع، لتخاطبهم قائلة:

اسمعوا أيها الناس.. أقسم لكم بالله العظيم، ان من تبحثون عنهم غير موجودين في البيت. لقد رحلوا منذ مدة طويلة، وأنتم تضيعون وقتكم سدى في كسر الباب واقتحام البيت. عليكم أن تعلموا أنه لا يوجد في البيت سوى النساء والاطفال.

لكن أحداً لم يصدقها، وذهب صراخها وكلامها وتوسلاتها أدراج الرياح، فالغضب والهياج كان كبيرا بين المهاجمين. وفي محاولة منها لتعطيلهم وصرف انتباههم عن مهاجمة البيت ولكسب بعض الوقت ريثما يحل ظلام الليل وتتفرق هذه الجموع، راحت تصرخ مرة بعد أخرى:

نيّر وسينا غير موجودين.. لقد تركا البيت.

فجاءها الجواب من بين الحشود: "أحرقوا باب الدار".

أسرع بعض الرجال ليتفرقوا في كل اتجاه لاحضار قناني النفط، وبعودتهم راحوا يرشون به باب البيت لاشعاله، لكن أكوام الحجارة المكدسة أمامه حالت دون ذلك رغم تكرار المحاولات.

كانت الوقت يمضي والدقائق تسير بطيئة وكأنها ساعات طويلة بالنسبة لأهل البيت حتى بدأت الشمس تميل الى المغيب وينشر الظلام خيمته على أطراف القرية، حينها بدأت حماسة المهاجمين تخف بينهم وفقد البعض صبرهم واستداروا ليعودوا أدراجهم، بعدما قرروا بعد مناقشات وجدال حاميين ترك عدد منهم عند باب البيت ليمنعوا هروب رجاله حتى يعودوا في صباح اليوم التالي لازالة الحجارة وإتمام فعلتهم.

بعدما تفرقت جموع الغوغاء الخائبة وهدأت ضوضائهم وخلا الشارع من المارة، وبعدما شعرت عائلة نيّر ببعض الاطمئنان المؤقت، راحت تتساءل فيما بينها عن مصير نيّر وماذا حل به في بيت جارهم؟

أما نيّر فكان يتساءل في نفس الوقت عما سيفعل وماذا سيحدث له إن اكتشفت عائلة الجيران مكانه، وهل عليه البقاء مختبئاً في غرفة المؤونة حتى ينام الجميع، ثم يتسلل ليتسلق الجدار ويفر هارباً، أم يخرج لهم ويخبرهم بوجوده؟! وماذا سيحصل له لو ظهر وأعلن لهم عن وجوده؟ هل سيسامحوه ويتقبلون تجاوزه على حرمة بيتهم، أم سيسلموه ليد أعدائه؟

وبينما هو جالس القرفصاء في إحدى زوايا المخزن المظلمة يسمع صراخ الرجال وتهديداتهم ووعيدهم، عاد بذاكرته الى تلك الأيام الخوالي غير مصدق أنها نفس أصوات أولئك الرجال الذين احترموه وأحبوه من قبل وعشقوا شعره وأنشدوه في مجالسهم وأمسياتهم. لكنه كان موقناً أنه لولا ضغوط رجال الدين من مجتهدي اصفهان وإثارتهم للعامة والغوغاء ضده وضد غيره من البهائيين في أنحاء البلاد، لأمكنه البقاء والعيش في قريته بسلام مع بقية إخوانه المؤمنين.

مضت الدقائق كساعات طوال قبل ان تهدأ الضوضاء وتختفي، وها هي وقع أقدام الجيران يسمعها بوضوح وهم يعودون الى داخل منزلهم. ولم يتبق له إلا أن يقرر ماذا يفعل، أيخرج أم يبقى مختبئاً.

في هذه الأثناء سمع أحد أفراد وهو يقول:

هؤلاء الناس مجانين ووحوش.. ماذا يدعوهم للظن أن هذين الاخوين هما بابيان؟

أجابه صوت آخر:

لا يمكن ان يكونا بابيان، انهما يسكنان في جوارنا منذ مدة طويلة، ولم نسمع انهما فعلا شيئا يدل على أنهما من البابيين. ان هذين الأخوين رجلان طيبان ومسلمان حقيقيان.

تشجع نيّر في الخروج عند سماعه هذا الحوار، وانتقل بهدوء من مكانه الى غرفة أخرى قريبة ينتظر فرصة مناسبة للظهور. وبينما هو كذلك، اذا بسيدة عجوز تدخل

غرفة المؤونة وتنتبه لخيال هيكله وهو يسرع منسحبا للاختباء في الظلام. الا انها سرعان ما تعرفت عليه وبادرته بالسؤال:

أهذا أنت يا سيد نيّر؟ كيف وصلت الى هنا دون ان ننتبه لك؟

لم يكن أمام نيّر من خيار بعدما تعرفت عليه المرأة، إلا الخروج من مكانه وإلقاء التحية عليها، ثم راح يقصَّ عليها ما حصل.

قالت العجوز: لا تخف فأنت وعائلتك جيران قدماء أعزاء، ولن نخونك أو نسلمك لهؤلاء ليؤذونك. وخرجت لتعود بصحبة ولدها الذي فرح بسلامة جاره ورحب به في بيته، ووعده بعمل ما في وسعه لضمان سلامتة. فأغلقوا باب بيتهم الخارجي بإحكام وراحوا ينتظرون ظلام الليل ليشتد. ثم أرسل صاحب البيت أحد أفراد عائلته وراء أحد أصدقائه الثقاة يطلب منه الحضور لمساعدته.

عندما تأكد الجميع من خلو شوارع القرية من المارة، خرج صاحب البيت وصديقه برفقة نيّر بهدوء وعلى عجل بعد ان تسلحا جيداً بأسلحتهما الفردية ليحرسانه ويرافقانه حتى حدود قريتهما. وهناك.. وبعدما تأكدا من ابتعاد الخطر، أعطوه ما معهما من نقود، وتركاه يكمل طريقه بمفرده، ثم عادا ادراجهما مسرعين يلفهمها ظلام الليل قبل اكتشاف أمرهما.

سار نيّر لمسافة طويلة وهو يتعثر الخطى ويتلمس طريقه في ظلام الليل، محاولا قدر الامكان عدم اصدار أي صوت يثير انتباه من يصادفه خلال الطريق.

أخيرا.. شاهد أضواء قناديل خافتة لقرية بعيدة تتلألأ في الظلام، فيمم وجهه نحوها وهو يعلم أن من بين ساكنيها بعض العوائل البهائية، آملا بقضاء بقية ساعات الليل معهم حتى شروق شمس صباح اليوم التالي.

كان فرح أصحاب البيت غامرا بسلامة طارق باب بيتهم وتعرفهم عليه، وأيقظت كلمات الترحيب والاستقبال من كان نائما منهم، فقدموا له الماء والطعام وجلسوا لاستماع قصة فراره وتفاصيل ما حدث له ولعائلته، ثم هيأت له نسوة البيت فراشا مناسبا ليرتاح فيه.

مكث نيّر عند تلك العائلة مختبئاً لعدة أيام، حتى انضم اليه نعيم ومؤمن آخر استطاعا النجاة من أيدي المهاجمين.

أما ما حصل في قريته صباح اليوم التالي، فلقد عاد المهاجمون ليكملوا ما تركوه من عملهم ليلة أمس وليحرقوا باب بيت نيّر وسينا. وكم كانت دهشتهم كبيرة عندما وجدوا نسخة من القرآن الكريم ملفوفة بقطعة قماش فاخر معلقة على باب الدار.

قال أحدهم: علينا باحترام الكتاب الكريم وعدم إحراق الباب.

أجاب آخر: ان هؤلاء الكفرة لا يؤمنون بالقرآن!!

قال ثالث: إن لم يؤمنوا هم، فنحن نؤمن به.

أجاب صوت آخر، يمكننا ابعاد القرآن الكريم جانباً وحرق الباب.

أخيراً.. استقر رأيهم على كسر الباب وعدم حرقه. فأزاحوا الأحجار جانباً وشرعوا بالتكسير والتخريب.

وبمجرد ان علم أهل البيت بقرار المهاجمين وسمعوا أصوات الطرق والتهشيم، قرروا فتح الباب وفسح المجال لهم للدخول، وفي نفس الوقت تسلقت زوجتا الأخوين الشابتين جدار سور المنزل وهربتا عبر فناء بيت جارهما الى زقاق ضيق قريب قبل ان يمسك المهاجمون بهن، لعلمهن بما ينتظرهن من مصير أسود إن وقعن بين أيديهم. فلقد وصل علمهن ان أهل زوجة نعيم، قد أحضروا رجل دين لبيتهم ليطلقها من زوجها، ثم اختاروا لها زوجاً جديداً رغما عنها، بعدما أفتى رجل دين آخر ببطلان زواجها من نعيم بحجة انه بابي كافر لا يصح بقائها على ذمته. بينما أقسم شقيق زوجة سينا المسلم على شق بطن شقيقته وقتل جنينها، مفضلا ذلك على انجابها طفلاً بابياً.

حالما فتحت العائلة باب بيتهم ودخل المهاجمون منزل نيّر، انقض بعضهم على ابنه الصغير ذي التسع سنوات بعدما شاهدوه يقف أمامهم مرعوبا خائفا، وانهالوا عليه يضربونه حتى يخبرهم بمكان اختباء عمه وأبيه. وبعد تأكدهم من جهله وعدم معرفته بمكانيهما، رموه جانباً وهو يئن مثخن بالجراح، وشرعوا بنهب محتويات المنزل وأثاثه. فحملوا معهم كل ما وجدوه من سجاد ثمين وأقمشة وتحف ومعدنيات وخلعوا شبابيك المنزل وأبوابه ولم يتركوا شيئا خلفهم حتى حصيراً ينام عليها أطفال العائلة الستة أو كسرة خبز يسدون بها رمقهم تلك الليلة في بيتهم الخاوي.

أما ما كان من أمر جيران هذه العائلة المنكوبة من المحيطين بهم، فلم يتجرأ أحد منهم الاقتراب من هؤلاء الاطفال المساكين لتقديم يد المعونة لهم، ولا حتى أصدقائهم الصغار، ولولا قدر الحساء الذي كان يهرّب اليهم في بهيم الليل من احدى جاراتهم المحسنات، لفتك الجوع بهم وهلكوا.

أما الوالدتان المسكينتان، فلم تستطيعا الابتعاد كثيرا عن فلذات اكبادهن، وبقين قلقات عليهم يعصر قلوبهن مصيرهم المجهول. وبعد كل ما حلّ بهنّ من مخاطر رهيبة، قررتا المجازفة والعودة بعد ليلتين الى بيتهن لتفقد أطفالهن الفزّع، فأرعبهن منظر الطفل الصغير ذي السنتين وهو ينام محشورا داخل صندوق علف الدواب الخشبي ببطن غائر لا يقوى على التفوه بكلمة واحدة رغم علامات الفرح البسيطة التي بانت على وجهه لحظة رؤية وجه أمه يتقرب منه ويقبله.

ورغم صعوبة تحمل مثل هذا المنظر الرهيب على قلب أم رؤوم وهي تشاهد أولادها على هذه الحالة المزرية، إلا أنه لم يكن أمامهن سوى ترك اطفالهن على هذه الحالة المزرية التعسة لمدة ثلاثة شهور كاملة وهن مجبرات، لاستحالة اصطحابهم الى أي مكان آمن. ولم يكن أمامهن إلا القدوم لزيارتهم والاطمئنان عليهم من وقت لآخر تحت جنح الظلام وهن يحملن ما يستطعن عليه من غذاء وكساء مما يجود به أهل الخير والمحبة.

في النهاية.. وبعد مصاعب جمّة لا تحصى، استطاعت والدة زوجة سينا التعرف على أحد أصحاب قوافل البغال وإقناعه باصطحاب عائلة سينا عبر طرق سرية في الجبال الوعرة الى مدينة قـم، خوفاً على ابنتها مما سيحصل لها إن عثروا عليها وطالتها يد الأعداء. ومن هناك أوصلها ومن معها من أفراد عائلتها الى العاصمة طهران ليلتقيا بنيّر وسينا، بعدما قبض ثمن أتعابه بسخاء.

لقد كرّس هذين الرجلين كل حياتهما لخدمة أمر الله، رغم كل ما أصابهما من مصائب وبلايا ورغم كل ما عانياه طوال حياتهما، وسافرا في كل إتجاه سيراً على الاقدام في فصول الصيف الحارة تحت أشعة الشمس المحرقة وفي الشتاء تحت زخات المطر ولسعات البرد القارس والى جميع أنحاء البلاد ومن قرية الى أخرى سعياً وراء تبليغ أمر الله للناس، مظهرين بذلك أجمل أنواع التجرد والثقة بالله والاعتماد عليه.

وفي النهاية.. فارقا الحياة بعد أن أمضيا سنينا طوال في إجراء هذا العمل المبرور وهما فقيرا الحال لا يملكان من هذه الدنيا شيئا، إلا أعمالهما الصالحة وذكراهما الطيبة العطرة.

لكن بذور الايمان التي زرعاها في أراضي قلوب الناس أينما حلا وأقاما، أنبتت وأينعت وحملت ثماراً وافرة لذيذة في نهاية المطاف.

واليوم يتذكرهم آلاف الرجال والنساء ويعترفون لهما بجميل صنعهما ونكران ذاتهما وتخليهما عن كل راحة في سبيل سعادة الآخرين.

(3)

"رحلة تبليغية"

كان الفصل شتاء والبرد شديداً والثلوج تغطي بيوت القرية وأزقتها، ورجال القرية يجلس كلا منهم في بيته بين أفراد عائلته مطمئناً قرب نيران مدافئهم، عندما سمعت عائلة سينا طرقا على باب بيتهم! فتسائلوا فيما بينهم: من عسى أن يكون هذا الطارق؟ ومن ذا الذي يجازف في الخروج من بيته في هذا البرد القارس وتحت جنح هذا الظلام الشديد؟! وأي حاجة ملحة دعته للمجيء؟!

نهض فرد من العائلة ليفتح الباب للطارق، فإذا به يجد أمامه أحد البهائيين المعروفين وقد علا الطين قدميه وتبللت ملابسه تماما ويرتجف من شدة البرد. فاسرع صاحب البيت يدعو ضيفه للدخول. وبعدما استقر القادم في مجلسه وتناول فنجان شاي ساخن، أخبر سينا أنه يحمل اليه رسالة من "حضرة عبد البهاء".

استلم سينا الرسالة باحترام من يدّ الرسول، وقبّلها ووضعها على عينيه، ثم فتحها، فإذا به يقرأ أمر مولاه له بضرورة السفر الى مقاطعة مازندران. وعلى الفور نهض بكل همّة ليجهّز نفسه استعداداً للسفر في الحال ودون تأخير. ورغم أن العائلة والرسول معهم كانوا يعرفون جيدا مقدار إيمان سينا وإخلاصه في تنفيذ أوامر مولاه، إلا انهم طلبوا منه التريث قليلا حتى يتحسن الطقس وينقطع نزول الثلج، فهو لم يعد شاباً كما كان عليه من قبل، وخروجه في مثل هذا الطقس سيعرض حياته لخطر المرض.

غير ان مثل هذا الكلام لا ينفع رجلا مثل سينا ولا يثنه عن قراره، وأصرّ على السفر في الحال، وهو يقول لهم: لا أحد في هذه الدنيا يضمن حياته، فمن المحتمل إن قضيت ليلتي هنا بينكم، أن تأتي منيتي وأموت في هذه الدقائق أو في يوم غد. وبهذا أكون قد عصيت أمر مولاي حضرة عبد البهاء. بينما لو حدث ومتُّ خلال الطريق وحانت ساعتي، فسأكون قد متّ وأنا قائم على تنفيذ أوامره.

وبسرعة أعدّت البغال وجهزت أحمالها تحت زخات المطر وتساقط الثلوج، وغادر سينا قريته متوجها الى مدينة مازندران يصحبه ولده الصغير "حبيب الله"، الذي كان يرافقه لأول مرة في رحلة تبليغية كهذه، جاهلا عنها الشيء الكثير.

في ذلك اليوم.. سار الوالد وولده من الصباح حتى المساء قبل ان يصلا قرية يجدان فيها بعض الطعام والراحة. لكن أهل القرية لم يكونوا كرماء معهما ولم يرحبا بضيفيهما كثيراً، وبالتالي لم يتوفر لهما للمبيت، إلا اصطبلا للخيل إمتلأ سقفه بالشقوق والثقوب والحشرات والروائح الكريهة وعانيا فيه كثيرا للمحافظة على جفاف ملابسهما حتى يناما بضع ساعات ليتما سفرهما في اليوم التالي.

لم تكن بداية الرحلة مشجعة للشاب اليافع بعدما عاناه في ليلته الماضية، فهو لم يسترح جيدا ولم يهنأ بنوم كاف، إلا أنه ما لبث ان وقع في محنة أشد وأقسى. فعند وصولهما للقرية التالية، انضمّا لجمع من الرجال لأداء الصلاة داخل مسجد القرية، وبانتهائها.. انتبه القرويون لانتساب سينا الى بيت آل الرسول من خلال لون عمامته الخضراء، وتقدموا ليؤدوا له فروض الواجب والاحترام. فلاحظوا ان ولده يرتدي قبعة غريبة الشكل بدلا من العمامة المعروفة، وأن شعر رأسه طويل مسترسل لا يتناسب مع مركز والده ونسبه الرفيع. لذلك قرروا تقديم يد المساعدة لهما، ولعدم وجود حلاّق متخصص في القرية، التفّ حول الشاب بعض رجال القرية وخلعوا قبعته ثم قاموا بحلق شعر رأسه تماما بمقص قديم بغاية اللطافة والأدب، ثم ألبسوه عمامة كبيرة تناسب مقام والده صعب عليه معها الاحتفاظ برأسه مرفوعة لثقل وزنها.

بعد أن ارتاحا في القرية وشكرا أهلها لحسن معاملتهما، قررا التحرك عند أول بزوغ خيوط الفجر وتكملة سفرهما. وفي المساء وعند حلول الليل، وصلا الى قرية

أخرى، فأمضيا ليلتهما في خان قذر للمسافرين، هاجمتهما فيه جموع القمل والبراغيث بكثرة ومن كل مكان مما حرمهما راحة النوم.

وفي نهاية الرحلة، وعندما جلسا بعد طول عناء في بيت أحد الاصدقاء، قال الإبن حبيب الله متندراً على أحداثها وما عاناه خلالها: لا عجب أن لا يتحمس أخي الكبير لمرافقتك يا أبي في مثل هذه الرحلات.

ضحك الوالد بصوت عال، وأجابه: نعم يا ولدي.. في بعض الأحيان تكون الرحلة متعبة قليلا.

بقي حبيب الله يشارك والده العديد من رحلاته التبليغية، وذهب معه الى أمكان بعيدة، وزار قرى ومدن كثيرة واكتسب خبرة كبيرة في كيفية تبليغ الأمر المبارك للناس.

وذات مرة وبينما هما في طريقهما لزيارة عدد من أحباء بعض القرى المنتشرة داخل غابات مازندران الكثيفة، حاصرتهما الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة التي كثيرا ما تحدث في تلك الأنحاء. وعلى رغم تعبهما وابتلال ملابسهما وحاجتهما الشديدة لمأوى يحميهما من البرد والمطر، إلا أنهما قررا تخطي أول قرية مرا بها لخلوها من الأحباء، والمضي قدما نحو القرية التالية.

الا أنه ولسوء الحظ، ضلّ دليلهما الطريق بعد حلول الظلام ولم يعد يتعرف على وجهته، بينما حالت السيول دون تقدمهم ومواصلة المسير، فقرروا المبيت وقضاء الليل داخل الغابة، لكن فكرة وجود حيونات مفترسة وبرودة الجو الشديدة وابتلال ملابسهم بددت تلك الفكرة. والأهم من كل هذا، تعرض سينا للاصابة ببرد شديد شلّ حركة لسانه ومنعه من الكلام مما أفزع ولده.

فقرر كل من حبيب الله والدليل العودة الى القرية السابقة طلباً للمساعدة. لكن طريق العودة لم يكن بهذه السهولة، فلقد وجب عليهما تسلق سفح تلّ منزلق اعترض طريقهم أعجز الخيول عن تسلقه وهي محملة. وهنا تذكر الشاب ما قرأ ذات مرة في أحد الكتب، عن اصدار أحد ملوك الفرس القدماء أمره لجنوده بوجوب ربط حوافر خيولهم ولفّها بالقماش بعد مواجهته ذات الموقف. لذلك أحضر الشاب بعض الملابس ولفّ بها أرجل الخيل ثم خلع عبائته وراح يضعها تحت حوافرها تباعا خطوة بعد خطوة حتى تمكنت من تسلق سفح التل.

تدبر الرجال الثلاثة بصعوبة شديدة طريقهم داخل القرية، يعلوهم الطين والوحل وهم يرتجفون من شدة البرد. إلا أنهم تعجبوا كثيرا عندما وجدوا صاحب أحد المنازل يقف على عتبة داره ويستقبلهم بلطف كبير ثم يدعوهم للدخول الى بيته.

وبعد تبادل التحية والسلام مع بقية أفراد الأسرة، أوقدت نساء البيت النيران بسرعة ليتدفئوا ويجففوا ملابسهم، وأبدين اهتماماً كبيراً لمرض سينا وفقدانه الوعي، ورحن يهتمّن به وعلى الخصوص سيدة عجوز كبيرة السن كانت بينهن، لم تستطع وقف جريان دموعها وهي تجلس قرب سريره تتلو الآيات وتقرأ ما تعرفه من دعاء الى وقت متأخر من الليل.

وكما لو أن معجزة عجيبة حصلت، إذ تحسنت صحة سينا بسرعة واستطاع تحريك شفتيه والتكلم. وكان أول ما نطق به حمده وشكره لله لاعطائه فرصة أخرى لخدمة أمره المبارك. ثم التفت الى العجوز بوجهه اللطيف يريد مخاطبتها والتحدث معها، لكنه فشل في ذلك صعوبة لاختلاف لهجتيهما. إلا ان العجوز لم تترك الأمر يمر هكذا، فسرعان ما أستدعت في صباح اليوم التالي مترجما لتفهم كلام ضيفها، وأتضح لسينا من كلامها أنها رأته وولده في منامها قبل ثلاثة أيام وهما على هذه الحالة تماما.

سألت العجوز سينا وقالت له: من أنت؟ وماذا تفعل في هذه القرية؟

فأجابها: أنه في طريقه لزيارة صديق قديم في القرية المجاورة. وهنا كانت المفاجأة الأخرى.. عندما أكتشف الجميع أن صديقه المقصود ليس الا أحد أحفادها، كما زاد من وقع المفاجأة أيضا أن العجوز كانت بهائية ايضاً، وكذلك جميع أهل القرية.

شفي سينا بعد مرور عدة أيام وتحسنت حالته، فودَّع مضيفيه وأهل القرية وتحرك لمعاودة سفره مع ولده والدليل، وغادروا القرية.

وخلال الطريق، حدث ان إلتوى كاحل قدم حبيب الله، مما اضطر الجميع للتأخر ثلاث ليال ريثما تبرأ قدمه وتشفى ويعاودوا المسير.

أخيراً.. ودعهما الدليل بعد طول سفر، وانفصل عنهما بعد أن وصلا الى وجهتهما.. وعندما وقفا أمام باب بيت الصديق وطرقاه، اكتشفا أن السلطات قد قامت باعتقاله بتهمة البهائية قبل ثلاثة أيام، ولولا ما صادفهما من مشاكل وعراقيل خلال الطريق، وتأخرهما عن الوصول، لكانا معتقلين معه ايضاً.

ادرك حبيب الله في نهاية الامر ان السفر بصحبة والده متعب ومرهق جدا، وان تسلسل الأحداث خلال الرحلة تبدو أقرب الى الخيال.

وحدث ذات يوم، بينما كان سينا وولده عائدان في طريقهما من مازندران، أن شاهدهما شخص غريب لا يعرفانه، فنهض للترحيب بهما واستقبلهما ودعاهما لزيارة بيته، الا انهما اعتذرا عن تلبية طلبه لارتباطهما بموعد سابق. فما كان من الرجل الا ان بقي يتبعهما ويسير خلفهما بهدوء وهو صامت لا يتكلم.

وبوصولهما الى وجهتهما، سأل صاحب البيت ضيفه سينا متعجباً وهو يفتح باب داره عن سبب وجود هذا الرجل خلفهما. وعندما لم يحصل منه على جواب، التفت صاحب الدار الى الرجل الغريب يسأله تفسيراً لتصرفه، فأجابه الرجل الغريب: أنه لا يعرف بنفسه تفسيراً لما يفعله، وان كل ما شعر به هو حبه لهذا السيد، لذلك سار خلفه وتبعه.

عندما سمع صاحب الدار هذا الجواب الغريب، دعى الجميع لدخول منزله.

بعد تبادل التحية والسلام وكلمات التعارف، أدرك الغريب أن سينا هو رجل بهائي قائم على نشر تعاليم الدين الجديد بين الناس، فأستفسر عن الموضوع، ولم تمض إلا ساعات قليلة من الشرح والإصغاء، حتى قال الرجل: أحب الانضمام الى جمعكم وأود أن أكون بهائياً مثلكم.

وفي حادثة مشابهة، قرر حاكم إحدى مدن خراسان إبعاد سينا عن مدينته لتسببه في إثارة علمائها ورجال دينها المتعصبين الذين كانوا على وشك الفتك به وقتله. وعندما أوصله الحرس والجنود مخفوراً الى قرية مجاورة، حذّروا مختارها من سينا كونه بابياً نشطاً وذا موهبة وحنكة في إقناع الناس بدينه ومعتقده.

لكنه وبمجرد ابتعاد الجنود عن المكان، نهض المختار من مكانه ورمى بنفسه على أقدام سينا، وهو يقول: أنا واثق تماماً أنك لست لصاً أو مجرماً. قل لي بربك.. ما معنى كلمة بابي؟

ورغم تعب واعياء سينا الشديدين، إلا أنه لم يترك هذه الفرصة الثمينة تذهب سدى، فمدّ يده الى جيبه وأخرج كتابا سلّمه ليد مضيفه ونصحه بقرائته. فسهر الرجل حتى ساعات الصباح الاولى وهو يقرأ الكتاب.

وعندما غادر سينا القرية، كان مختارها قد آمن بالدين الجديد.

(4)
"جلسة تعمق"

مضت الأيام والسنين، وشاخ الأخوان نيّر وسينا وتقدم بهما العمر، ولم يعد بامكانهما كسابق عهدهما القيام برحلاتهما التبليغية. وعوضاً عن ذلك، واستمراراً لخدماتهما قررا عقد جلسات تدريس وتعمق في أمور الدين الجديد في بيتهما مرتين كل اسبوع ليحضرها المبتدئون والشباب حتى يتفقهوا في أمور دينهم.

لكن تصرف الأخوين هذا لم يعجب سكان المنطقة بعدما شاهدوا توافد الزوار على بيتهم، وبتشجيع وتأييد من رجال الدين المتعصبين، قرروا فيما بينهم مباغتتهم ومهاجمتهم وهم مجتمعين في مجلسهم للقضاء عليهم وقتلهم للتخلص منهم مرة واحدة.

ذات مساء هادئ، فوجئ نيّر وسينا ومن معهما من الحضور بسماع صوت أكثر من مائتي شخص وهم ينادون بالويل والثبور وضرورة قتل كل من في البيت. فخاف أصحاب البيت على ضيوفهم وتوسلوا اليهم أن ينجوا بأنفسهم ويجدوا لهم طريقا للهروب.

ومن عجيب الصدف أن كان من بين الحضور إثنا عشر جندياً من سلاح المدفعية لم يمض على ايمانهم بالدين الجديد وقت طويل. عندما أدرك هؤلاء الجنود ما يهدد الحاضرين من خطر عظيم، قرروا مواجهة الموقف كجنود شجعان والدفاع عن رفاقهم، وبدلا من تنفيذ اقتراح أهل البيت، نهضوا ليفتحوا باب البيت ويندفعوا الى الشارع لمواجهة المهاجمين والوقوف أمامهم.

كان تأثير وضع الاستعداد وعلامات القوة والشجاعة البادية على الجنود واتخاذهم وضع الدفاع للرد على أي بادرة عداء عليهم كتأثير السحر في جموع المهاجمين، إذ أنهم لم يتوقعوا مثل هذا الموقف الشجاع، بل ظنوا أنهم سيجدون بضعة أشخاص عزّل لا حول لهم ولا قوة يسهل افتراسهم والتغلب عليهم. أما منظر هؤلاء الرجال الشجعان وهم يقفون أمامهم بهذه الجرأة، فلم يخطر ببال احد منهم.

توقف المهاجمون لبضع دقائق يحدق أحدهم بالآخر، ثم بدء البعض منهم بالتململ والانسحاب وهم منكسو الرؤوس ويتفرقون بهدوء خائبين وجلين في كل اتجاه.

بانسحاب المهاجمين وتفرقهم وزوال الخطر عن أهل البيت وضيوفهم، وتكريما لهؤلاء الرجال وردا لفضلهم في ابعاد الخطر عن مجموعة بيوت البهائيين، قرر بهائيو المنطقة استضافة أصدقاءهم الجنود الشجعان لقضاء بضعة أيام في معيتهم. فلبى الجنود الدعوة بسرور وسكنوا في أحد البيوت الخالية الملاصقة لبيت مضيفيهم.

أما أهل المنطقة، فلم يردعهم ما حصل لمعاودة التخطيط في تكرار الهجوم مرة ثانية، فبعد بضعة أيام عادوا لاتمام ما فشلوا في تحقيقه سابقا، ونادى بعضهم بعض وجمعوا شملهم وتسلحوا بكل ما طالته أيديهم من عصي وسلاح وتقدموا الى نفس المكان لمهاجمته، ظانين أن الجنود قد غادروا المكان وسافروا خلال تلك الفترة تاركين أهل البيت لوحدهم.

عادت أصواتهم وصراخهم ليسمعا قبل دخول أوائل صفوفهم لبداية الشارع، وهنا فاجأهم الجنود مرة أخرى بهجوم مباغت كصولة رجل واحد وهم شاهرين سيوفهم عالياً، ليلقنوهم درساً خاصاً في العسكرية. فذهل المهاجمون وارتعبوا من هذه المفاجئة غير المتوقعة، وعادوا ليتفرقوا ويهربوا بسرعة كبيرة لم يستطع معها الجنود إلا في القبض على رجل واحد منهم سيء الحظ كان بطيئا في الفرار من أمامهم. فأحضروه وهو يرتعد من الخوف والهلع. وحالما شاهد تعيس الحظ هذا، سينا وهو يقف على عتبة داره ينظر اليه، ارتمى على ردائه ليمسك به ويتوسل اليه طالباً الرحمة

والسماح. ومع تأكيدات سينا المتكررة له أن لا خطر عليه، إلا أنه لم يترك رداءه وبقي متمسكا به حتى تعهد له بحمايته شخصياً.

هكذا كانت جلسات التعمق تعقد بهذا القدر من الخطورة.

(5)
" قتيل يبعث حياً "

حملت مجموعة من أهالي قرية أردكان من رجال ونساء وأطفال، ما استطاعوا عليه من عصيّ وسلاسل ومدي وتوجهوا لمهاجمة أحد البهائيين المعروفين فيها. فجميعهم كان يعتقد ببر وصلاح هذا العمل الذي يباركه رجال الدين المتعصبين.

وعندما أمسك المهاجمون الغاضبون بالرجل وانهالوا عليه يوسعونه ضرباً وركلاً بكل ما حملوه بأيديهم، سقط المسكين يتلوى من الألم وفقد الوعي من شدة الضرب وكثرة الجراح. لكنهم لم يكتفوا بما فعلوه، بل أحضروا حبلاً وربطوا قدميه وراحوا يسحبونه على الأرض وما عليها من حجارة وقطع زجاج وأوساخ وأتربة وسط الأزقة وهم يضربونه بالعصي ويرمونه بالحجارة والأوساخ متوجهين به نحو بيت مجتهد القرية الذي استقبلهم قائلا:

لم أطلب منكم إحضاره بهذه الحالة وهذه الطريقة. ولكن بما أنكم قد فعلتم وحصل ما حصل وقضيتم عليه، فما عليكم إلا أن تلقوا بجثته خارج حدود قريتنا.

عاد المهاجمون يسحبون جثة صديقهم القديم وجارهم الطيّب بين أزقة جديدة للقرية ويدورون بها ليرى جميع السكان عقاب كل من يتجرأ على الايمان بالديانة البهائية. ولأنهم لم يكتفوا بما فعلوه بالمسكين ولم ينتهوا منه بعد، أسرع أحدهم لاحضار منشاراً من دكان نجار قريب وجلس بجانب جثة الضحية فاقد الوعي لينشر إحدى قدميه، بينما أحضر آخر قطع خشب ونفط بغية اتمام العمل وحرق الجثة.

وبينما الجميع منشغلون بما هم عليه من (مبرور) العمل هذا ويتبادلون الأدوار، اذا برجل يأتي من بعيد ثم يندفع بينهم مسرعاً وهو يلهث ويصيح وبيده ورقة يرفعها عالياً:

إن قتل هذا الرجل حرام عليكم، فرجال الدين لم يوقعوا فتوى إعدامه بعد، وهذا أمر من السلطات يقضي باعادة النظر في قضيته.

ذهبت أصداء صوت الرجل مع أدراج الرياح وكأنه لم يقل شيئاً، وبعدما شاهد اصرار الواقفين والمتجمهرين على تكملة عملهم بتقطيع جثة الرجل وحرقها وتجاهلهم لكلامه، أخرج من بين ملابسه سلسلة حديدية وراح يفرق بها جموع الملتفين حول الضحية، ثم التفت الى أحد الواقفين يطلب منه مساعدته على حمل الجسد المطروح السابح بدمه الى بيت أهله. إلا ان الرجل رفض التنفيذ وابتعد غير آبه بما سمع، وكذلك فعل غيره.

وبينما عاد المهاجمون يتحفزون لاغتنام فرصة مواتية في غفلة من الرجل للتقرب من الضحية والانقضاض عليها من جديد، إذا بعابر سبيل آخر يمر بالمكان ويتعرف على شخص الضحية. فتقدم ليشق طريقه من بين صفوف المتجمهرين وليحمله على ظهره.

لم يكن هذا المتطوع سوى لصٍّ سبق له وأن سطى ذات ليلة على بيت اخت الضحية وألقيَّ القبض عليه، ولولا تدخل الضحية ساعتها، لاقتص الحاكم منه وأنزل به عقابه العادل، الا أن عبد الغني وهذا هو اسم الضحية، تدبَّر أمر اطلاق سراحه والعفو عنه.

جيء بالجسد الممزق ومدَّ في باحة بيته أمام أفراد عائلته المنكوبة وسط صراخها ونحيبها، ولم يكن سوى كومة من الدم واللحم المسحوق وقد اقتلعت إحدى عينيه من محجرها وبقيت متدلية على خده بينما نشرت نصف قدمه بالمنشار.

عندما شاهدت الزوجة المسكينة أن جثة زوجها ما زالت تتنفس والروح لم تفارقها بعد، وضعت عباءتها على رأسها واندفعت كالمجنونة الى خارج البيت تبحث في كل مكان عن طبيب أو مضمد يساعدها في انقاذ حياة زوجها. إلا أن أحداً منهم لم يتجرأ في الحضور لمعالجة الرجل أو امتلاك الشجاعة الكافية حتى لوصف دواء له، خوفاً من عقاب أهل القرية، هذا بالاضافة الى أنهم جميعا كانوا متأكدين من موته المحقق عاجلاً أم آجلاً.

لذا لم تجد الزوجة الشجاعة سبيلاً سوى الاعتماد على الله وعلى نفسها، فعادت الى بيتها مسرعة لتنحني على جسد زوجها وتضمّد جراحه وتستعمل ما تراه مناسباً لوقف نزيف الدماء من أنحاء جسده، يساعدها في ذلك ولدها الكبير.

مضت أيام الاسعاف والتطبيب بطيئة، وحالة الرجل تتحسن وتتردى، حتى كوفئت جهود زوجته المسكينة بعودة الصحة والحياة الى زوجها بالتدريج.

عندما علم أهل القرية أن عبد الغني ما زال حياً يرزق ولم يمت رغم كل ما فعلوه به. اعتبروا ذلك معجزة حقيقية، وان الله قد بعثه للحياة من جديد. واعتقدوا ان هذا الرجل لا يمكن الا ان يكون مؤيداً ومباركاً من الله.

فعاد غالبية من شارك في الاعتداء عليه، ليطلب من عائلته قطعة قماش صغيرة من ملابسه الملطخة بالدماء، ليحتفظوا بها كتذكار في بيوتهم للتبرك بها.

(6)
"الايمان بمحمد(ص)"

حكى أحد الزرادشتيين (المجوس) قصة بداية ايمانه بالديانة البهائية، فقال:

كنت في أيام شبابي زرادشتيا متعصباً، آمنت بقوة ويقين بكل ما وصلني عن أجدادي من قصص وأفكار دينية تمجِّد مقدسات ديني ورجاله، وبما أنني لم أكلف نفسي عناء السؤال أو التحري عن حقيقتها أو مقدار صحتها أبداً، لذلك أيقنت تماماً ببطلان جميع الديانات الأخرى، وعلى الخصوص الديانة الاسلامية. فلقد كنت أمقت هذه الديانة بشدة وأكره أتباعها لمعاملتهم الظالمة لنا على الدوام، فهم لم يكونوا يدخرون وسعاً لاضطهادنا ولعننا وضربنا بسبب أو بدونه وبحقد وكراهية لا حدود لهما. فلقد كانوا يعرفوننا ويميزوننا على الفور من خلال الزيّ الخاص بنا.

فعلى سبيل المثال.. لو توجه أحدنا الى السوق لكسب قوته اليومي ممتطياً حماره أو دابته حاملاً معه سلة فواكه ليبيعها. فباستطاعة أصغر مسلم رميه بالحجارة أو ضربه بالعصا حتى يترجل عن حماره، إذ يعتبرونها من وجهة نظرهم إهانة كبيرة لهم في أن يمر أحدنا بهم وهو يمتطي ظهر دابته ولا يترجل من فوقها احتراما لهم. كما ينبغي علينا النهوض في كل حين لتقديم عظيم الاحترام والتبجيل لرجل الدين المسلم وهو يمر أمام منازلنا، وإن لم نفعل، فلا محال من تعرضنا لما لا تحمد عقباه من عقاب وأذى.

صادف ذات يوم أن جاء أحد شيوخنا العجزة وهو مريض ممتطياً دابته لعيادة طبيب داخل المدينة. وعندما مرّ بأحد الملالي من رجال الدين، ألقى عليه التحية والسلام من فوق حماره بغاية الاحترام والتبجيل. وعوضا عن رد التحية بأحسن منها، سحب رجل الدين ذلك الرجل العجوز المريض وطرحه أرضاً، وانهال عليه جلداً بلجام حماره.

لقد فُرض المسلمون علينا وعلى طائفة اليهود ارتداء ملابس خاصة تميزنا عنهم حتى لا نلامس أحدهم أو نحتك به عن طريق الخطأ أو الصدفة، وإلا فهذه جريمة كبرى لا تغتفر، فنحن بنظرهم نجسين غير طاهرين. اما اذا رغب أحدنا في بناء دار له، فعليه أن لا ينسى أن يكون البناء أقل ارتفاعاً وأدنى شأناً من بيت جاره المسلم.

مع كل هذا العذاب والمضايقات والاضطهادات وسوء المعاملة، بقينا نرى حياتنا وأحوالنا أفضل بكثير من مجموعة من الناس عرفت حديثا باسم "البابيين". كنت أتألم جداً وأشفق عليهم عندما أراهم وهم يضطهدون ويعذبون ويقتلون ويقطعون بطرق لا يمكن وصفها في أغلب الأحيان. ولم يخطر في ذهني أبداً أن هؤلاء البابيون يؤمنون برسول المسلمين محمد ويصدقون دعوته.

رأيت ذات يوم بأم عيني أحد الاسكافيين البابيين ممن ينتمون لهذه الفئة الجديدة، وهو يمزق إربـاً إربـاً وسط الشـارع أمـام أنظـار جميع المـارة. فقد هجم عليه كل من انتبه له وعرفه، وضربوه بالحصى والآجر وطعن بسكاكين اللحم وبكل آلة وأداة طالتها أيدي المهاجمين الذين هرعـوا لمكـان الحـادث للمشـاركة على عجل في هـذا "العمل المبارك"!. وقطِّع جسد الرجل المسكين أمامي الى قطع صغيرة ومُثِّل بجسـده وألقي ما تبقى منه في نار أعدت على عجل وسط الشارع لهذا الغرض.

خاب ظني واستغربت بشدة، عندما تعرّفت ذات يوم على مجموعة من البهائيين بعدما علمت أنهم يؤمنون بمحمد رسولاً كريما من عند الله. فسألت أحدهم مستغرباً:

كيف تؤمنون برسول يضطهدكم أتباعه بهذه الطريقة الوحشية؟

أجاب: لا يمكننا الحكم على صحة دعوى رسول مقدس من خلال تصرفات أتباعه.

سألته: وكيف لك ان تعرف أنه رسول حقيقي من عند الله. وهذا تصرف أتباعه؟

قال البهائي: ان ما يفعله المسلمون اليوم يشير بوضوح الى نسيانهم حقيقة تعاليم رسولهم. فلو كانت حقيقة الرسل تثبت ويستدل على صحتها من خلال تصرفات أتباعهم، وجب علينا نكرانهم جميعاً في هذا اليوم.

أدركت من كلامه بعض الحقيقة. لكن ذلك لم يقلل من حقدي تجاه الاسلام وأتباعه.

بعد هذه المناقشة.. تذكرت كتاباً سبق وأن قرأته وفرحت به ساعتها كثيراً، فهو يهاجم محمد وأتباعه بعنف وشدة، إلا أنني لم أجرؤ من قبل على مناقشته مع أحد. أما الان.. وبعد تعرفي على أصدقائي البهائيين الجدد، شعرت بامكانية اثبات صحة اعتقادي لهم تجاه النبي محمد(ص). ورحت خلال إحدى جلساتي الخاصة معهم، أعدد لهم غالبية التهم التي قرأتها عن الاسلام ورسوله.

لكنهم كانوا صبورين جداً في نقاشهم معي، وقدموا لي أجوبة شافية كثيرة لدحض كل تهمة ضد الاسلام صرح بها الكتاب واثبتوا بطلانها تماماً.

ومع ذلك لم أقتنع بما قدموه لي من أدلة وبراهين عقلية ونقلية، ووجدت نفسي أميل الى البهائيين أنفسهم بدلاً من دين الاسلام. في نهاية المطاف قلت لهم:

لا عليكم... دعوا محمداً وتعاليمه، واذكروا لي شيئاً من تعاليم رسولكم بهاءالله.

فمدّ أحدهم يده داخل جيبه ليخرج كتاب "الكلمات المكنونة" ويقدمه لي ناصحاً بقراءته.

أستولى على الفور هذا الكتاب الصغير على نياط قلبي، مما دفعني لقراءة كتب بهائية أخرى. ومع مرور الوقت، أيقنت أن مؤلف هذه الكتب هو رسول حقيقي من عند الله.

صادف ذات يوم آخر، ان قرأت احدى الآيات التي يعظِّم ويبجِّل فيها بهاء الله بشدة النبي محمد(ص) ويؤيد حقيقة رسالته الالهية. هنا.. لم أستطع التحمل أكثر من ذلك، فقلت لهم:

يسهل علي كثيراً الاعتراف ببهاء الله كرسول الهي. إلا انني لا يمكن أن أقتنع أبداً أن محمداً كذلك.

وبهذا قررت التخلي عن بهاء الله ودعوته لشدة كراهيتي لمحمد وأتباعه ودينه، فحقدي له ولهم كان بلا حدود.

حدث بعد هذا وخلال تلك الفترة، أن تعرفت على الملا عبد الغني، وقد كان بهائياً. فسألني ذات مرة:

لماذا تجد صعوبة في تصديق رسالة محمد(ص) وأحقيتها؟

فكان هذا السؤال بداية لنقاش طويل بيننا. ومن ضمن ما قاله لي هذا الرجل المؤمن.. ان تعاليم الله النازلة على رسله الكرام، تشبه ماء نبع صافي، يهب الحياة لكل شيء، لكنه وبمرور الوقت وبتعاقب الأزمان، يتلوث هذا الماء اللطيف ويفسد. فهنالك من الناس من يدلي دلوه فيه، وهناك من يمد يده الملوثة ويغسلها وآخر يغسل ملابسه. وبمرور الوقت يتبدل لون هذا الماء الصافي وتتغير رائحته ويفقد قوته الروحانية الخلاّقة، وفي النهاية وعند المصب، يصبح الشرب منه سبباً للسقم والموت لا سبباً للحياة. وهذا هو السبب الحقيقي لتتابع استمرار ظهور الرسل ونزول الديانات، حتى تتنقى حقيقة دين الله الأزلي من زمن لآخر، وليكون مصدراً دائماً للحياة الروحانية لعموم البشر، بعد يساء استعماله وتحرّف معانيه حتى تناسب مصالح الناس وأهواءهم.

سألته: وكيف يمكنني التأكد من نقاء وصفاء تعاليم محمد(ص) وقت مجيئها؟

أجاب: هنالك طريقة واحدة فقط لمعرفة ذلك. عليك بترك تعصبك وحقدك جانباً ضد تصرفات اتباعه، وقراءة تعاليمه كما جاءت في القرآن.

قلت: أنا لا أعرف العربية.. والقرآن لم يترجم الى الفارسية.

قال: إن كنت مخلصاً في حقيقة بحثك وتود معرفة ما نزل فيه، فسوف أتدبر أمر قراءته وترجمته لك.

وهكذا بدأنا بقراءة القرآن معاً والتفقه في معانيه، واستمر ذلك لمدة سنتين حتى فرغنا منه، وكان صبر الملا عبد الغني وهدوءه معي لا حدود له.

وفي النهاية أصبحت بهائياً، لا أبالي باضطهاد من حولي، وأشعر في الوقت نفسه باحترامي ومحبتي الشديدين لمحمد رسول الله(ص).

(7)
"اضطهادات مدينة يزد"

فجأة.. اندلعت الفوضى والاضطرابات في مدينة يزد، وهوجم البهائيون من قبل المسلمين وأخذوا على حين غرّة، ولم يتمكنوا من النجاة بأنفسهم، فعذب وقتل العديد من رجالهم، بينما التجأت النساء والاطفال هرباً للاختباء في أقبية المنازل وغرف المؤونة وترع الماء وسواقي المياه وفي الحفر والآبار والخنادق داخل المدينة وخارجها طلباً للنجاة، وهم أنصاف أحياء يحيط بهم الرعب والخوف والحيرة وعيونهم تبحث عن منقذ أو مخلص لهم من هذه البليّة الدهماء. أما صيحات المهاجمين الوحشية وصراخهم والفاظ الشتم واللعن والقذف والإفتراء، فكانت ما تزال تصل أسماعهم بوضوح من كل مكان.

فجأة.. إذا بالمهاجمين يتوقفون عن الاغارة والتدمير والتخريب، ويتركون ما بين أيديهم، متوجهين صوب قصر الحاكم بدعوة من رجال الدين ليحيطوا به ويحاصروه، وليطلبوا منه تسليمهم رجلا بهائياً كان في قصره، مهددين باقتحام القصر عنوة إذا رفض الانصياع الى مطلبهم، فلقد وصلهم خبر التجاء الملا عبد الغني الى بيت الحاكم.

ارتعب الحاكم عند مشاهدته هذا الجمهور يحيط بمنزلة وهو يصرخ ويهدد غاضباً، مما تسبب في فزاع أهل بيته، كما راعته سطوة علماء الدين المتعصبين وقدرتهم على تهييج كل هذه الجموع والتلاعب بعقولهم. فأسرع ليخرج عليهم والجنود من حوله يحرسونه، ليؤكد لهم مرارا عدم وجود الرجل المطلوب داخل بيته وعدم دخوله القلعة قط. واستمر الوضع على هذه الحال لعدة ساعات وهو يحاول اقناعهم، لكن أحداً منهم لم يصدقه، مما اضطره في النهاية الى اللجوء لرجال الدين أنفسهم طلبا للمساعدة. لكن الحصار لم ينته، واستمر طوال فترة ما بعد الظهر حتى المساء، مما أعطى فرصة مناسبة للعديد من سكان المدينة البهائيين للهرب خارجها طلباً للنجاة بأنفسهم وعوائلهم.

أما الحاكم.. فلقد كان صادقاً في قوله، ففي ذات الوقت كان الملا عبد الغني وعدد من أفراد عائلته ضيوفاً في بيت أحد أصدقائهم الانكليز. وعندما وصل علم صاحب البيت الأجنبي ما يجري في المدينة من فضائع وحشية، طلب من ضيفه وعائلته ترك منزله فوراً وتجنيبه ما قد يحدث له ولعائلته وبيته من أضرار وأذى فيما لو علم الناس بوجوده عنده.

أكَّدَ عبد الغني، الرجل الضعيف البنية ذي السبعين عاماً لمضيفه، أنه لن يسمح لنفسه أن يكون سبباً في أذاه أو عائلته، وطلب منه السماح له ولعائلته بالمكوث في بيته لبعض الوقت فقط، ريثما تهدأ الامور قليلا، فالمكان بعيد عن الشبهات ولن يفكر أحد باحتمال وجوده هنا، ووعده بمغادرة البيت فورا، إذا وصل المهاجمون باب داره.

لكن المضيف بقي خائفاً يعارض فكرة ضيفه ويطالبه بضرورة ترك منزله.

في هذه الأثناء.. سألت ربة البيت الانكليزية، الملا عبد الغني، عن سبب اعتناقه ديناً يلاقي من أجله كل هذا الاضطهاد والتعذيب والقتل أينما ذهب؟

التفت اليها الملا عبد الغني بوجهه البشوش، وأجابها بمفهوم أفحمها ولم تستطع التعليق من بعده، قال:

يا سيدتي المحترمة.. هل نسيت أيام بطرس وبولس؟ ألم يعامل الناس حواريو السيد المسيح بنفس هذه القسوة؟

في النهاية.. وبعد محاولات عديدة، وافق صاحب البيت على بقاء ضيوفه لبعض الوقت شرط أن يكونوا جاهزين للمغادرة فورا اذا وصل المهاجمون حتى لا يكونوا سببا في أذاه وعائلته.

جلس عبد الغني وحيداً خلف باب الدار مستعداً لتخطّيها ومغادرة المكان حال سماعه أصوات المهاجمين قادمة في طلبه، بينما جلس أفراد أسرته صامتين على مقربة منه ينتظرون ما يخبأه القدر لهم ولوالدهم. ومضت ساعات الانتظار طويلة قاسية وحلَّ المساء دون جديد.

فجأة.. إنتبه الجالسون وانتفضوا لسماعهم أصوات مجموعة من الرجال وهي تقترب من البيت.

فنهض الملا عبد الغني ليودع أطفاله ويشكر أهل الدار على حسن ضيافتهم وكرمهم وسماحهم له بالاختباء كل هذه المدة في بيتهم، واستعد للخروج.

إلا أن المفاجأة كانت كبيرة عندما اختفت أصوات الرجال وابتعدت دون طرق باب البيت.

فلم يكن أمام الملا عبد الغني إلا العودة للجلوس ثانية في مكانه خلف الباب وحيداً وانتظار مصيره. بينما كان حزن عائلته وقلق صاحب البيت لا حدود لهما.

ومضت الدقائق طويلة.. واذا بأصوات مجموعة أخرى من الرجال تقترب من المكان ثانية. في هذه المرة، كانت أعدادهم أكثر بكثير من المرة السابقة، واهتز لصياحهم وصراخهم المكان، فتأكد الملا عبد الغني انهم جاؤا في طلبه هذه المرة لا

محالة، فما كان منه إلا أن نهض وفتح باب الدار وقفز خارجاً الى الشارع لمواجهتهم، متفادياً أذى صاحب البيت وأهله كما وعدهم سابقا.

وهنا كانت المفاجأة الثانية.. اذ لم يكن هو المطلوب في هذه المرة أيضاً، بل بيت جار بهائي آخر. فهوجمت تلك الدار وكسرت بابها، ولما لم يجدوا أحداً داخلها، تم نهب محتويات البيت وحرقه بالكامل.

أخيراً.. قرر عبد الغني ترك بيت مضيفه مغتنماً فرصة حلول الليل وساعياً لمغادرة المدينة قبل حلول نور الفجر، يرافقه في مسعاه زوج ابنته غير مبالي بالاخطار التي ستحيط بهما من كل جهة. لكنه ومع حسن الحظ.. لم يتعرف عليهما أحد بسبب ظلام الليل الشديد.

ان قصر ساعات ليالي الصيف وضعف حالة الرجل وكبر سنه، لم يمكّن الرجلين من الابتعاد كثيراً. وعند انبلاج أول خيوط الفجر، لاحت أمامهما في الافق قرية بعيدة. فتقدَّم الشاب منها مسرعاً الى بيت رجل زرادشتي كان على معرفة سابقة به يطلب منه مساعدتهما. ورغم رغبة الرجل المجوسي بذلك، الا انه خاف من ادخالهما بيته، وبدلاً من ذلك، اصطحبهما الى قرية قريبة أخرى وطلب منهما المكوث في حديقة صغيرة لبقية ذلك اليوم حتى يتدبر أمرهما.

جلس الرجلان تحت أشعة شمس الصيف المباشرة وحرارتها الشديدة، دون أكل وشراب لمدة أربع عشرة ساعة طوال فترة النهار. وعندما حلَّ المساء، كانت حالتهما أقرب الى الموت منها الى الحياة.

أخيراً.. جاء من يحمل لهما قليلا من الطعام والشراب مع رسالة من صاحب الحديقة تأمرهما بوجوب مغادرة المكان والالتجاء الى مكان آخر عند حلول الليل. فكان هذا هو المستحيل بعينه، ليس لأنهما لا يقويان على السير والحركة فقط، بل لانه لا يوجد مكان آخر يأويان اليه.

في النهاية.. وبعد جهد جهيد، استطاعا اقناع الرجل بالعدول عن فكرته وابقائهما فترة اخرى.

سكن عبد الغني تلك الحديقة الصغيرة مع زوج ابنته لتسع وثلاثين يوماً، واستطاع النجاة من الموت رغم حرارة الشمس واشعتها الحارقة وافتراشه أرضاً محروثة قاسية. ومع كل هذه المعاناة، لم يستطع لا الجوع ولا العطش ولا العذاب أو الاضطهاد اخماد شعلة حماسته تجاه دينه الذي أحبه بشدة، وعاش بقية حياته رغم كل الصعاب وضروب أنواع الامتحان خادماً مخلصاً له.

وبعد سنين عديدة من الخدمة والتفاني للدين الذي عشقه، توفي الملا عبد الغني على فراشه.

(8)

"إبـن بـار"

عبد الخالق ذو الخمسة عشر ربيعا.. هو أحد أبناء الملا عبد الغني. كان مع والده في ذلك اليوم المشؤوم، عندما تركه والده وزوج اخته الى مصيرهما المجهول، لكن مضيفه الأجنبي لم يتركه يرافق والده في رحلته الخطرة، واحتفظ به خوفاً على حياته.

في صباح اليوم التالي، زار أحد الأطباء الانكليز بيت مضيفه، وعندما شاهد الشاب وعرف حكايته، عطف عليه واصطحبه الى بيته ليهتم بصحته وسلامته وأخفائه حتى نهاية الاضطرابات.

ولسوء حظ عبد الخالق، حدث في مساء نفس اليوم، أن قلق الطبيب قلقاً شديداً، عندما زاره رجل دين ونقل اليه رسالة من حاكم البلدة عن سفير بلاده التي ينصح فيها جميع مواطنيه بعدم إيواء أي بهائي في منازلهم، ويؤكد لهم عدم مسؤوليته عن سلامة كل من يخالف ذلك. ومما جاء في نص الرسالة ايضا:

"انكم لو شككتم بانتماء خادمكم الخاص لهذا الدين، فعليكم بالقائه خارج منازلكم".

التفت رجل الدين الى الصبي بعد تعرّفه عليه يسأله ان كان على استعداد للطعن في بهاء الله مؤسس دينه ونكران إيمانه به انقاذاً لحياته. فجاءه الجواب من الشاب الصغير حازماً:

أبداً.. أبداً.. أفضل القتل على هذا.

وبمجرد أن سمع الطبيب جواب الولد لرجل الدين، قال له على مضض:

أخشى في هذه الحالة ان لا أستطيع الاحتفاظ بك اكثر من هذا. ان سلامتي الخاصة أصبحت في خطر الآن. ثم مدَّ يده الى جيبه ليخرج بعض النقود ليسلمها بيد الصبي وطلب منه الانصراف.

سار الولد في بهيم الليل يتعثر الخطى ويرتجف خوفاً كلما تذكّر قرب موعد بزوغ شمس الصباح واحتمال تعرّف احدهم عليه وهو في طريقه الى خارج المدينة، وتساءل في نفسه: أين سيذهب؟ ومن سيدخله بيته في تلك القرى؟ من سيطعمه او يسقيه؟ ان أكثر الغرباء في هذا الوقت هم من البهائيين الهاربين من مذابح المدينة.

وبينما هو سابح في أفكاره يسير في ظلام الليل، اذا بقدمه تتعثر بسلك معدني ويسقط على الارض محدثاً صوتاً أيقظ عدداً من عمال البناء النائمين على مقربة. فنهضوا ليمسكوا به ويستفسروا عن هويته وعمّا يفعله هنا في هذا الوقت من الليل. فأجابهم انه في طريقه لنقل رسالة مستعجلة لسيده الطبيب. الا ان احدهم صاح به:

أنت كاذب. أنت بهائي هارب من مذابح المدينة.

لم يستطع الصبي الانكار وأستعد لمصيره المحتوم. لكن العمال لم يكونوا كما تصورهم، بل على العكس، دعوه لقضاء بقية الليل معهم مقابل انتزاعهم من بنصره خاتم الذهب الذي أهداه له والده ليلة فراقهما.

عند الصباح.. شكر عبد الخالق العمال كثيراً بعدما أفاق من نومه وأعطاهم بعض ما كان معه من مال قبل أن يمضي في سبيله المجهول.

لكنه لم يبتعد كثيراً حتى لحق به أحدهم وأخبره ان باستطاعته تدبير أمر اخفائه في بيت خال من السكان مقابل بعض المال. استحسن الغلام هذا الاقتراح، ومدّ يده في جيبه ليعطي الرجل كل ما بقي من نقود فيه مكافئة له، وهو يقول:

هذا كل ما أستطيع عليه وما أملكه.

أخذ الرجل النقود، وقال للولد:

حسناً... اجلس هنا وانتظر عودتي.

جلس عبد الخالق ينتظر عودة الرجل، وحرارة الشمس تشتد وترتفع تدريجياً، والساعات تمضي وتمضي ولم يعد الرجل. حينها أدرك أنه وقع ضحية عملية احتيال وسرقت نقوده. فنهض ليكمل مشواره.

وخلال الطريق، صادفه أحد الزرادشتيين، فتقدم الرجل لمساعدته بعد أن لاحظ عليه معالم التعب والارهاق والحيرة. وبمجرد أن سمع حقيقة قصته، تركه وانصرف مسرعاً وهو يتمتم بكلمات مبهمة.

وحدث ان صادف أيضاً رجلا كبير السن رقَّ قلبه لحاله وأراد مساعدته، فقدَّم له قليلا من الماء واصطحبه الى بيته في قرية مجاورة. وتصادف في نفس ذلك المساء، أن اضطر العجوز لمغادرة قريته الى المدينة لقضاء بعض حاجياته. وبمجرد دخوله أحد اسواقها، سمع المنادي وهو يصيح بين الناس:

"إن حاكم المدينة أصدر فرماناً يقضي بهدم بيت كل من يتجرأ على إيواء أي بهائي أو إخفائه ومصادرة أمواله وأملاكه".

فارتعب العجوز خوفاً، وعاد من فوره الى قريته ليأمر الصبي بضرورة ترك منزله حالاً.

أخيراً، وافق العجوز بعد رجاء الصبي المتكرر على المبيت لديه ليلة واحدة فقط. ثم توجها عند بزوغ أول خيوط أنوار الفجر الى بيت قديم ليخفي فيه الصبي. فشكر الغلام الرجل العجوز كثيراً على حسن ضيافته، ثم استدار ليتخذ له مجلساً في ركن من أركان ذلك المكان المقفر.

تلفت الصبي يمينا وشمالا يتفحص المكان ليتعرف عليه ويطمئن على سلامته، فشاهد مجموعة من القطط الصغار عند الزاوية لم تزل مغمضمة العيون تنتظر عودة أمها، وهنا وهناك بقايا أوساخ بشر وفضلات حيوانات تجمع حولها الذباب والبعوض، رفع رأسه الى السقف، فشاهده وقد سقط جزء منه مما ترك أشعة الشمس المحرقة تخترق المكان لتضيئه بشكل تام، أما بقيته فكان ما يزال مستندا الى مجموعة من الأعمدة الخشبية التي تدلت بعض أطرافها وكانت مليئة بالشقوق وبيوت العناكب، نظر الى الجدران فرأى الثقوب والفتحات تتخللها وصوت الهواء وصفير الرياح تنبعث من خلالها.

وللمرة الثانية، وجد عبد الخالق نفسه دون أكل وشراب تحت حرارة الشمس المحرقة. ومضت الساعة تلو الاخرى وهو على هذه الحال، وعطشه يزداد ووحشة المكان وسواد الأفكار تهاجمه من كل صوب. في النهاية.. أيقن عبد الخالق أنه لن يستطيع تحمل صعوبة المكان ووحشته أكثر من ذلك. وقال في نفسه، أن أية ميتة أخرى، أفضل من الموت هنا بهذا البطأ تحت أشعة شمس الصحراء المحرقة. ولا شك أن الموت قتلاً أسرع وأفضل.

فقرر النهوض وترك المكان والاستعداد لمقابلة قدره.

أما والدته المسكينة، فلم تجد الراحة للحظة واحدة منذ فراقه، الا انها كانت مطمئنة على سلامته وهو في بيت الطبيب، جاهلة ما حل به. وبقيت منشغلة على مصير زوجها وصهرها وسط فوضى الاضطرابات التي تعم المدينة. وتساءلت في نفسها، إن كانا ما يزالا على قيد الحياة؟ أم انهما قتلا وقطعت أجسادهما؟

وعندما وصل علمها أن الطبيب قد طرد ولدها من بيته، وأنه خرج للبحث عن ملجأ آخر، وضعت عبائتها فوق رأسها على عجل وخرجت متجهة الى بيت الطبيب، فطرقت الباب ودخلت عليه لتبادره بقولها معاتبة:

كيف سمح لك ضميرك بطرد ولد برىء بعد أن التجأ الى حماك وتحت سقف منزلك؟ لماذا لم تتركه يموت هنا حتى أتمكن من دفن بقايا جثته بيدي وأبكي على قبره وأعرف مكانه على الأقل؟ سأموت الآن كل يوم مائة مرة، وأنا جاهلة بما لاقاه من عذاب وأذى، وفي أي مكان رميت جثته؟

حرَّكت كلمات الأم المفجوعة مشاعر الطبيب وأحاسيسه، وأدرك حجم خطأه، وتمنى لو كان يعلم شيئاً عن ولدها ليطمئنها عليه. فما كان منه إلا أن خرج من بيته بصحبة خادمه يحاول العثور عليه في كل مكان. وبعد يومين من البحث، شاهد بالصدفة عبد الخالق وهو يمشي متعثراً وقد أعياه التعب والجوع والعطش. فرح الطبيب بلقائه كثيراً، ولم يكترث هذه المرة لانتباه الناس ونظراتهم وهو بصحبة الغلام.

وبعد أن قدم له الرعاية الطبية اللازمة، أسرع ينقل بشارة سلامته وعثوره عليه الى والدته.

عادت بعد عدة أيام لعبد الخالق صحته وتحسنت حالته. وفكّر الطبيب بتقديم خدمة أخرى للصبي، وفكّر باصطحابه الى أحد كبار رجال الدين في مدينة يزد، ليقف بين يديه حتى يعيده للاسلام وينكر إيمانه بالدين الجديد، وبذلك يحصل له على إقرار بضمان سلامته وعدم تعرض حياته للخطر.

لكن الصبي الشجاع رفض هذه الفكرة واستنكرها بشدة بعد أن ذاق حلاوة الايمان وروعة الحياة البهائية وجمالها، وفضَّل البقاء مخلصاً لدينه حتى النهاية.

(9)
"نبوءات تحققت"

تأكد ملا بهرام المجوسي من خلال قراءته في كتابهم المقدس، من اقتراب مجيء يوم ظهور ذلك الرسول العظيم الموعود. وكان دائم السؤال لكل من يعود من المدينة من أهل قريته عن جديد الأخبار هناك، آملا في سماع تلك البشارة التي طال انتظارها. لكن الأيام كانت تمضي ولا خبر ولا بشارة.

ذات يوم.. عاد الى القرية من يحمل نبأ مقتل أحد البابيين في يزد ببشاعة لا حدود لها.

فسأله ملا بهرام عن معنى كلمة "بابي"، فهي كلمة جديدة لم يسمع بها من قبل.

أجابه الرجل وهو غير واثق مما يقوله:

سمعت أنهم قوم اشتهروا بسعة علمهم.

لم يهتم الملا بهرام كثيرا بجواب الرجل، وسرعان ما نسي الموضوع.

بعد فترة، حدث ان انتقل الملا بهرام الى مدينة طهران للعمل هناك.

وذات يوم، دخل مع أحد معارفه في نقاش ديني عن الزرادشتية، بعد أن لاحظ اهتمامه بالموضوع. ولإثبات صحة عقيدته، ذكر الملا بهرام معجزات النبي زرادشت وما لاقاه مع أصحابه من تعذيب واضطهاد في سبيل نشر عقيدتهم.

فأجابه الرجل: ان تحمل العذاب والقتل، ليس دليلاً مؤكدا على صحة الدعوى. فقبل عدة سنوات وفي يوم واحد فقط، ذبح ثمانون بابياً هنا في احدى ضواحي طهران بسبب اعتناقهم هذا المذهب، بينما يعلم الجميع بطلان عقيدتهم.

فكانت هذه المرة الثانية التي يسمع فيها الملا بهرام باسم البابية.

أما المرة الثالثة، فكانت في مدينة كاشان عندما استخدمه أحد التجار للعمل لديه. فذات يوم، استلم هذا التاجر رسالة لم يستطع عند انتهائه من قراءتها إخفاء عميق حزنه وتأثره، مما دفع الملا بهرام للاستفسار منه عن حقيقة الخبر. فتردد الرجل بادىء الأمر في الافصاح عن مكنون قلبه، لكنه أفصح عما في صدره في النهاية، بعدما شاهد في صاحبه علامات الأمانة وصدق النية، فقال: تقول الرسالة:

ان رجلين من كبار رجالات مدينة اصفهان المشهورين بأمانتهما واحترام الناس لهما وقدسية حياتهما، قد قتلا بوحشية لأعتناقهما الديانة البهائية.

فأحزن هذا الخبر الملا بهرام، وتأكد في نفس الوقت أن التاجر ما هو الا واحدا من أتباع الدين الجديد وليس زرادشتياً كما كان يظنّه من قبل.

ومنذ تلك اللحظة، ازداد اهتمام الملا بهرام بالبحث والتحري عن الديانة الجديدة، ولم يعد بامكانه تجاهلها أكثر من هذا، خاصة وان أخبار استشهاد أتباعها فرادى وجماعات تسمع بين حين وآخر. لكن الظروف لم تسمح له باكمال بحثه، فقد اضطرته ظروف الحياة الى ترك المدينة والعودة الى قريته.

بعد زمن طويل، وكلما دخل الملا بهرام مدينة يزد قادماً من قريته محملا حماره بنبات الشمندر لبيعه بين أزقتها، تتقدم احدى العوائل للشراء منه. وبمرور الوقت، نمت علاقة صداقة بين الطرفين. وفي احدى المرات، دعاه أهل البيت للدخول وزيارة أحد أفرادها.

لم يكن الشخص المقصود سوى السيد ماليري أحد مشاهير مبلغي الديانة البهائية، وكان ساعتها مختبئاً في قبو منزل صديقه صاحب البيت بعد أن أصدر كبار رجال الدين في يزد فتوى بهدر دمه.

لم يترك ماليري هذه الفرصة الثمينة تفلت من يده حتى وهو في مثل هذه الظروف الحرجة، والأعداء يبحثون عنه في كل مكان خارج المدينة وداخلها، خاصة بعدما أخبره صديقه صاحب البيت عن ذكاء وصفاء قلب القروى بائع الشمندر.

كانت هذه المقابلة هي البداية، إذ اعتاد الرجل بعدها زيارة السيد ماليري والجلوس بين يديه يومياً، وغالبا ما كانت الدموع تسيل على خديه وتبلل لحيته وهو يستمع لشرح محدثه عن تحقق نبوءات جميع الأنبياء والرسل السابقين بظهور هذا اليوم. وبالتدريج تمكن الايمان من قلبه واستحوذ عليه.

وكانت هذه هي قصة ايمان أول رجل زرادشتي (مجوسي) بالديانة البهائية.

(10)
" السفر الى يزد "

مضت عدة أيام على الملا بهرام وهو يسافر وحيداً على حماره خلال ذلك الطريق الطويل وفي تلك الصحراء القاحلة في طريق عودته الى قريته مسروراً بامتلاكه هذه الدابة. فلولاها لصعب عليه السفر. وكان يتساءل في نفسه، عن وقع خبر عودته على أهل قريته. فقبل أقل من عام أجبروه على مغادرتها حفاظاً على حياته بعدما انتشرت الشائعات بينهم عن مسؤوليته بطريقة سحرية عن وفاة اثنين من رجال الدين ممن شاركوا باضطهاد البهائيين.

ولكونه من أوائل المؤمنين بالديانة البهائية من أمة الزرادشتيين، ونتيجة لشجاعته وقدرته في اقناع العديد من الناس في اعتناق الدين الجديد، ازداد عدد أعدائه أيضاً، لذلك قرر مع مجموعة من أصحابه ترك القرية قبل أن يهاجمهم المتعصبون من أهلها. فاختار هو السفر الى الهند ليستقر هناك ونجح في تبليغ عدد من الزرادشتيين.

ذات يوم.. استلم الملا بهرام رسالة من حضرة بهاء الله يأمره فيها بالعودة الى ايران، فلم يتأخر في ترتيب أموره وباع أثاث غرفته وتحرك على الفور لمغادرة الهند، وها هو الآن في طريق عودته قائم على تنفيذ أمر مولاه، يضع كل كتبه وثروته في سرج حماره.

وبينما هو غارق في تذكر الأيام الخوالي وأحداثها وما جرى فيها، متسائلا عن أحوال عائلته وأقربائه وما سيحدث له في الأيام القادمة، إذا بلصين ملثمين يخرجان عليه من مكان مجهول بأشكالهما المخيفة وشعرهما الأشعث وهما يصرخان به يهددانه بسلاحيهما ويقطعا عليه الطريق ويأمراه بالترجل عن حماره والافصاح عما معه من ثمين الأشياء، ثم استوليا على كل ما معه وسلباه حتى ملابسه، ولم يتركا عليه سوى ما يستر بالكاد بعض أجزاء جسده.

نظر الملا بهرام الى حالته وما حلّ به، فسلّم أمره لله واستدار ليكمل بقية رحلته مشياً على الاقدام. وبعد مسيرة عدة ساعات، قطع خلالها أميالا قليلة، اذا به يسمع صوتاً من خلفه ينادي عليه ويأمره بالوقوف، فالتفت ليجد اللصين الذين سرقاه وقد اشتبكا في معركة حامية فيما بينهما. فأسرع ليفصل بينهما ويستفسر عن سبب شجارهما، وعلم أنهما مختلفين في طريقة اقتسام ما سرقاه منه.

وهنا قال ملا بهرام يخاطبهما:
سادتي.. أرجوكما أن تكفا عن الصراخ والنزاع والقتال، فأنا أعلم جيداً أسعار هذه المواد وأثمانها. وإذا سمحتما لي، فسأقسمها بينكما بطريقة يحصل كل واحد منكما على حصته كاملة.
استحسن اللصان الفكرة ووافقا عليها.
فبدأ ملا بهرام بتقسيم حاجياته بين اللصين بالتساوي وأرضى الطرفين. لكنه واجه مشكلة كبيرة في تقسيم الحمار وسرجه.
فعاد ليخاطبهما ثانية:
سادتي.. بعد ان قسمت بينكما كل شيء، أجد نفسي عاجزاً عن العدل تماما بينكما في اقتسام هذين الشيئين، الحمار وسرجه. لذلك أقترح عليكما حلاً لهذه المشكلة، اعادتهما لي مرة ثانية لاستعمالي الخاص.
وجد اللصان حكمة في هذا الاقتراح، وحلاً نهائياً لمعركتهما، فسمحا له بأخذ ما أراد وانصرفا بكل هدوء.
وهكذا وضع ملا بهرام السرج على حماره وأكمل بقية رحلته الى مدينة يزد.

(11)
حكاية قرية

وصلت اضطهادات البهائيين في مدينة يزد الى ذروتها، وكأن يوم القيامة قد قام في مدينتهم، ففي يوم واحد ربط أربعة وثمانون رجلاً منهم وسُحِلَوا في شوارع المدينة وعذبوا أشدَّ العذاب حتى الموت، ونهبت مئات المنازل وأحرقت وتركت النساء بين أطلال بيوتهن يندبن أزواجهن واخوتهن وأولادهن القتلى. أما الاطفال فلم يكن باستطاعتهم فهم ما يجري حولهم، لكنهم تعلقوا ببراءة بامهاتهم العاجزات، خائفين فزعين مدركين فقط أنهم لن يشاهدوا آباءهم مرة ثانية.
كان القتلة يتفاخرون بشرب دماء ضحاياهم في الشوارع أمام عيون الناس، ويضعون حراساً على أبواب المدينة وأسوارها للحيلولة دون هروب البقية الباقية منهم، وانتشروا يبحثون في كل زاوية وحارة وبيت عن ضحايا جدد ليصبوا عليهم جام غضبهم، مما دفع بالعديد من أصدقاء الضحايا المخلصين، للمجازفة بحياتهم وحياة أولادهم والمخاطرة بكل شيء لتهيئة ملاجيء آمنة لكثير من البهائيين الهاربين.
وانتشرت أخبار المذابح بسرعة الى القرى المحيطة بمدينة يزد، وأدرك البهائيون في تلك الأرجاء اقتراب دورهم للشرب من هذا الكأس لا محالة. إذ ان عدد المهاجمين كان يزداد ويكبر في كل ساعة بعد الاغارة على كل قرية جديدة، مخلفين وراءهم الدمار والعذاب للكثير من العوائل.
في هذه الأثناء، بقي سكان قرية "عباس آباد" من البهائيين يتوقعون الهجوم والاعتداء عليهم بين لحظة وأخرى. كانوا في حيرة من أمرهم يتسائلون ويقترحون على بعضهم البعض، ماذا يفعلون وأين يختبئون وبمن يستعينون.
فجأة.. ارتفعت أصوات التنبيه والتحذير من فوق بيوت القرية، ودارت من بيت الى بيت ومن شباك الى آخر:
انهم قادمون.. انهم قادمون..
فأسرعت العوائل للدخول في بيوتها وأغلاق أبوابها، وهي متوجهة الى الله بعيون دامعة وقلوب وجلة تطلب منه اللطف بهم ورحمتهم، تنتظر نزول معجزة من السماء لتخليصهم من مصيرهم المتوقع على أيدي مهاجميهم.
لهذه القرية الصغيرة، قصة خاصة أشارت دائماً الى التصرفات المخزية للأمير "جلال الدولة" حاكم مدينة يزد. فهو المسؤول المباشر عن تعذيب وقتل العديد من

البهائيين في السابق. لكنه كان رجلا ماكراً مخادعاً يظهر في كل مرة ندمه وبرائته من تلك الجرائم ويندد بها ويبدي أسفه الشديد على حصولها ويعد بمعاقبة القتلة والجناة إن تعرّف عليهم ووقعوا تحت يديه.

كان الملا بهرام من سكان هذه القرية ومن ضمن الذين بقي هذا الامير اللئيم يطلب ودَّهم وصداقتهم، لذا كان يقوم بزيارتهم بين الحين والآخر، بعدما اشترى قطعة أرض كبيرة بسعر بخس وقرر استخدام الملا بهرام ومعارفه لاصلاحها وزراعتها، لمعرفته بخبرتهم الطويلة في زراعة الحقول ورعايتها.

أما الملا بهرام، فلم يرغب في ترك حقله الجميل الذي تعب فيه سنين طويلة للعمل في أرض الحاكم الجديدة. لكن هذا الأمير المنافق، لم يترك له فرصة الاختيار لكثرة إلحاحه وتردده عليه، مما اضطره الى الموافقة في نهاية الأمر.

غالباً ما أطلق الأمير جلال الدولة، اسم "عباس آباد" على قريته. وكان يقول للمسلمين، انه سمّاها بهذا الإسم تيمنا باسم "العباس" الشهيد أخ الأمام الحسين، بينما كان يخبر البهائيين من جهة أخرى، انه اختار لها هذا الاسم لاتفاقه مع اسم حضرة "عبدالبهاء" الرسمي ولزيادة بركتها.

أخيراً.. باع الملا بهرام كل ما استطاع عليه من ممتلكاته، وحمل ما تبقى منها، وذهب ليستقر في الأرض الجديدة، واختار في نفس الوقت عددا من العوائل البهائية والزرادشتية لمرافقته والعمل معه.

كانت جميع هذه العوائل تعمل في أرض ذلك الأمير ليل نهار، وبكل جدّ ونشاط ودون توقف، لبناء مساكن ريفية بسيطة لهم وحفر ترع المياه وحرث الأرض وبذرها. وأنفق الملا بهرام وأصحابه كل ما معهم من مال ومدخرات لشراء احتياجات الأرض وتوفير متطلباتها، وكان كلما ذهب لمقابلة جلال الدولة يطلب منه مالا لتوفير إحتياجات الأرض من آلات وبذور وسماد وغيرها، لا يأخذ منه سوى وعوداً فارغة بالتسديد مستقبلاً، وأوراقاً موقعة منه تقضي برد أمواله وبقية من معه من الفلاحين عند بيع المحصول في نهاية الموسم فوراً.

لكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فلقد تزامن موسم الحصاد مع تأجج نيران الاضطهادات في المدينة، وأدرك ملا بهرام وأصحابه وقوعهم في فخ قرية الأمير، وانه لا سبيل لهم للنجاة بأرواحهم فضلا عن استرداد أموالهم وأجور أتعابهم.

وكانت البداية، هي حادثة اغتيال أحد شبابهم في قرية مجاورة، بعد ذهابه اليها لشراء مجموعة من الخراف. تبعها وصول رسالة من الأمير اللئيم بيد مجموعة من حراسه الى ملا بهرام وأصحابه، يأمرهم فيها بتسليم جميع ما في حوزتهم من أوراق ومستندات تؤكد ديونه المالية لهم.

فرفض الملا بهرام تنفيذ الأمر وتسليمهم المستندات، لأن هذه الأوراق كانت هي الدليل الوحيد والسبيل الفريد في إمكانية استردادهم لأموالهم التي انفقوها في بناء وزراعة قرية الحاكم. لكن مندوب الأمير كان يحمل أمراً قاطعاً من سيده بعدم العودة اليه دون الأوراق. لذلك أمر جنوده بضرب الملا بهرام ضرباً مبرحاً، أدت الى حمله عاهة مستديمة في عينه لبقية حياته.

وبقي الجنود يبحثون في زوايا المنازل والأكواخ وبين أثاث البيوت وخربوا كل شيء حتى عثروا على المستندات، فاستولوا عليها وانصرفوا.

بعد أن فقد الملا بهرام وأهل قريته كل ما ملكوه من مال ومتاع، وفقدوا الأمل في استرجاع ديونهم من الحاكم، وأغلقت في وجوههم سبل النجاة، لم يتبق أمامهم سوى انتظار هجوم الغوغاء عليهم. وبينما هم في هذه الحالة، دوت صرخة عالية بين أهل القرية:

انهم هنا.. ها هم قادمون من هناك!!

فما كان من الجميع، الا أن دخلوا منازلهم وأغلقوا أبوابها من الداخل، آملين تأخير المهاجمين بعض الوقت.

كانت ضوضاء المهاجمين وهي تقترب، كافية لإثارة الرعب في صدور أشجع الرجال، ومنظر أولئك الضحايا المساكين صغارا وكبارا وهم خلف تلك الأبواب الموصدة رهيباً محزناً يقطع نياط القلوب، إذ احتضن الآباء والأمهات صغار أولادهم المذعورين وكمموا أفواههم بأيديهم منعا لصدور صوتا يكشف أماكنهم ويدل على تواجدهم، ومنعوهم حتى من البكاء، تلفهم حالة من الذعر والهلع، بينما ألسنتهم تدعو الله هامسة بنجاة الأطفال من المذبحة.

خاطب أحد المهاجمون أهالي القرية قائلا:

على الجميع الخروج الى الشوارع.. ولا داعي لكسر الأبواب ودخول البيوت عنوة.

عندما سمع الملا بهرام ما قاله الرجل، برز الى الشارع وهو ينادي طالباً من بقية رفاقه البقاء في منازلهم وعدم الخروج. لكن رفاقه لم يوافقوه بعد أن شاهدوه وهو يتقدم بكل شجاعة وحيداً نحو جموع الغوغاء. فخرج الرجال من بيوتهم واحدا تلو الآخر ليتبعوه وينضموا اليه.

كان عدد المهاجمين بالآلاف وهم متسلحين بالمجاريف وآلات الزراعة والسيوف والرماح والسكاكين والعصي والحجارة يتقدمهم أربعون رجلاً حاملين بنادقهم بأيديهم، بينما وقف أمام الجميع ثلاثة من رجال الدين.

عندما تقدم الملا بهرام من جموع المهاجمين ووقف مع صحبه أمامهم، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ تعَّرف عليه أحد رجال الدين الثلاثة، ورقَّ قلبه عليه ورفض فكرة قتل هذا الرجل، فلقد سبق وان ارتبط معه بعلاقة صداقة قوية، اختبر فيها أخلاقه جيداً. فتحركت أوتار الرحمة والشفقة في قلبه، وهو يرى صديقه القديم يتقدم بهذه الشجاعة لنهايته. وهنا استدار نحو الجموع وصاح بهم:

ان هؤلاء الزرادشتيين الساكنين قرية "عباس آباد"، هم في حكم الشريعة تحت حماية الاسلام والمسلمين، ولا يحق لأي فرد الاعتداء عليهم. وان كان لأحد منكم دعوى خاصة أو شكوى ضد الملا بهرام أو جماعته، فليتقدم..

انبرى رجل آخر ليتقدم أمام الجمع وهو يقول:

لقد سمعت كثيرا عن كرم وأخلاق هذا الرجل الواقف أمامنا، فلقد سبق له وعامل بمنتهى العطف والكرم أربعمائة مستخدم من المسلمين في هذه القرية، ولم يحدث أن شعر أحدهم بالجوع أو العوز قط، وكلما كان يسمع بحاجة أحدهم لشيء، كان يسرع لتقديم ما في بيته من طعام له على الفور. فان لم يكن يملك في بيته خبزاً، أحضر للمحتاج فاكهة جافة أو خضار بدلا منه، ولم يحدث أبدا أن امتنع عن مساعدة أحد من جماعتنا.

عاد رجل الدين ليقول:

بما انه لا يوجد هنا من له شكوى ضد هؤلاء الناس، فلنعد أدراجنا ولنتركهم بسلام.

لكنه لم يكن من السهل على المهاجمين التفرق والعودة بهذه البساطة، فلم يجذبهم الى هذه القرية سوى ما سيحصلون عليه من غنائم وأسلاب. لذلك لم تجد كلمات رجل الدين وغيره صدى بينهم، ولم يتراجع أي منهم خطوة واحدة. فكيف بعد أن قطعوا كل هذه المسافة وبذلوا كل هذا الجهد وبعدما اقتربوا من فريستهم وأصبحت في متناول يدهم، يعودون فارغي الوفاض لا يحملون شيئا!؟ ان هذا لم يخطر في أذهانهم أبداً.

لقد وجد رجل الدين سهولة ويسر في إثارتهم للاغارة والقتل والنهب، لكنه يعجز الآن ثني عزمهم. فلقد قوبلت كلماته بالتجاهل والصمت والانتظار.

رقَّ قلب رئيس حملة البنادق وتأثر من كلام رجل الدين، ولتنفيذ ما طلبه من الجموع، التفت اليهم، وقال:

ألم تسمعوا ما قاله شيخنا المبجل؟ ماذا تنتظرون لتعودوا؟!

مع ذلك، بقيت الجموع دون حراك، تنظر بوجوم وغباء في وجوه المتكلمين محاولين فهم ما يجري، وما هو سبب هذا التغيير المفاجئ في تنفيذ خطتهم.

فصاح رئيس حملة البنادق بجماعته وقال لهم:

هيا يا رجال.. لنرى هل باستطاعتنا تفريق هؤلاء أم لا؟

فاستدار المسلحون الى الخلف شاهرين بنادقهم بوجوه الجموع التي كانت تؤيدهم وتسير قبل قليل خلفهم، وهم مستعدين لاطلاق النار عليهم، فاذا بالحشود تبدأ بالتفرق والتشتت وهي خائبة بعد أن تبين لها جدّية الموقف وحراجته.

كانت هذه الحادثة بالنسبة لسكان القرية مثل معجزة أقرب الى الخيال، ولم يصدقوها رغم حدوثها أمام عيونهم. ومع كل هذا فمشاكلهم مع جلال الدولة لم تنته بعد، إذ أصدر بعد فترة وجيزة أوامره لهم باخلاء القرية ومغادرتها فوراً.

تساءل الأهالي، الى أين يذهبون ويلتجؤون والأعداء يحيطون بهم من كل الجهات، فلابد انهم سيقتلون على الشوارع والطرقات حال مغادرتهم منازلهم، وحتى لو استطاعوا النجاة بأنفسهم، فلا يوجد مكان لاستقبالهم وتقديم المساعدة لهم، لا في مدينة يزد ولا في القرى المجاورة.

لم يجد الملا بهرام وسيلة للخلاص من هذه الطامة، إلا بكتابة رسالة التماس الى جلال الدولة، يطلب فيها مساعدته والرأفة بأحوالهم. ولما لم يحصل من الأمير اللئيم على ردّ أو جواب، كتب أخرى ثم ثالثة، لكنه لم يتلق منه أي جواباً. فكتب الرابعة، يدفعه احساسه بواجبه تجاه أهل قريته في توفير الحماية لهم، ترجاه وناشده فيها بحياة أولاده ومقدساته للعطف على هؤلاء الفقراء المساكين الذين تفانوا في خدمته بكل اخلاص ورحمتهم واصدار أوامره بعدم مهاجمتهم أو الاعتداء عليهم عند مغادرتهم قريتهم.

في هذه المرة.. وجوابا لالتماسه الأخير، وافق الحاكم على اصدار أمره بمنع مهاجمتهم ووقف الاعتداء عليهم.

وهكذا انتهت قصة القرية التي بناها الملا بهرام وأصحابه لحاكم مدينة يزد جلال الدولة.

(12)
"إصابة الهدف"

قلق أحد التجار المشهورين على مبلغ كبير استدانه منه عدد من رؤساء القبائل التركمانية منذ مدة طويلة. ومع انه بعث اليهم بالعديد من الرسائل يطالبهم فيها برد المبلغ، إلا انهم لم يسددوا له شيئاً.

لم يكن الوصول الى مناطق تلك القبائل الصحراوية بالأمر السهل الهيّن، هذا بالاضافة الى أن التعامل معهم داخل مناطقهم كان أمرا بغاية الخطورة، فهم قبائل شجعان لا يهابون أحد ولا يأبهون بأي قانون يصدر من الحكومة داخل المدن البعيدة عنهم، ولا بأوامر شخصيات الدولة مهما كانت ألقابهم رفيعة. لقد كان مقياس نفوذ كلمة الرجل بينهم هي درجة فروسيته ومدى دقته في الرماية واصابة الأهداف.

قرر التاجر اختيار الملا بهرام من بين العديد من مستخدميه، للذهاب الى تلك المناطق الخطرة لعله يتمكن من تحصيل أمواله. ومن حسن حظ الملا بهرام، أنه كان بارعاً في ركوب الخيل وخبيراً باستعمال الأسلحة النارية واصابة الأهداف.

رافق الملا بهرام في سفرته، شخص بهائي يعمل معه، فاختارا أفضل جوادين في اسطبل سيدهما، وحملا معهما كمية من المال والزاد والطعام تكفيهما لعدة أيام، وتسلحا بالبنادق وغيرها لمواجهة ما قد يصادفهما من أخطار.

بقيت رحلتهما هادئة لا يعكر صفوها شيء لعدة أيام، حتى وصلا الى حدود الصحراء، حيث دخلا خاناً قديماً على جانب الطريق، ينشدان فيه الراحة والنوم. وهنا، صادفتهم إشارة الخطر الأولى من قبل مجموعة من قطاع الطرق، كانوا يستخدمون المكان وكراً للقاء والمراقبة، وكانوا عند شكهم او ارتيابهم بأي شخص يحمل ما يستحق سرقته، يتبعونه لداخل الصحراء ثم يهاجموه ويسرقون ما معه، ونادراً ما كان ينجو أحد المسافرين من أيديهم.

صادف أن كان اللصوص وقطاع الطرق في تلك الأثناء يتدربون في العراء على اطلاق النار نحو أهداف وضعت على مسافة بعيدة منهم. فجلس ملا بهرام وصاحبه يستريحان من تعب السفر ويراقبان عجزهم عن اصابة الأهداف رغم كثرة ما أطلقوه عليها من نيران.

في تلك الأثناء خطرت فكرة لطيفة في ذهن مرافق الملا بهرام البهائي، إذ التفت نحو الرجال قائلا:

يا سادة يا كرام.. ان هذا الرجل الجالس هنا بجانبي، هدّاف ماهر لا يخطئ هدفاً، وأعتقد اذا سمحتم له بمشاركتكم، فإنه لن يمانع في ذلك.

أجابه أحدهم:

أهلا وسهلا.. فليتفضل ويأخذ دوره، لا مانع لدينا.

لم تكن لدى الملا بهرام رغبة في المشاركة، لكن إصرار المتبارين وإلحاحهم دفعه لسؤالهم عن الهدف الذي يرغبون باصابته.

ابتسم الرجال في وجه بعضهم البعض، وقال رئيسهم:

حاول نحو الأخير في جهة اليسار.

فرفع ملا بهرام سلاحه وأطلق النار فأصاب الهدف.

عندها علق أحدهم قائلا:

انها ضربة حظ بالتأكيد، أرنا ان كنت تستطيع اصابة العلامة العالية على اليمين.

وبدون تردد صوَّب الملا بهرام سلاحه نحوها وأصابها أيضا.

فظهرت علامات العجب على الوجوه واضحة، لكن بعضهم ما زال لديه بعض الشك في قدرته على اصابة بقية الأهداف.

ولإقناعهم تماماً، ولازالة عوالق الشكوك الأخيرة، سدد الملا بهرام فوهة بندقيته نحو البقية الباقية فأصابها جميعاً.

لم تكن هذه البراعة عادية حتى بين رجال القبائل. لذلك بدأت شهرة ملا بهرام تسبقه الى كل مكان يتوجه اليه. وساهمت تلك المباراة في تجنيبه ورفيقه، العديد من المجابهات والمشاكل خلال السفر، ولم تواجههما صعوبات تذكر في تحصيل أموال سيدهما، ورجعا مع عدة خيول محملة بالبضائع والهدايا.

(13)

" قضية في محكمة "

بسبب اعتناق عدد من يهود مدينة همدان في إيران للديانة البهائية وتركهم دينهم القديم وطقوسه. تقدمت إدارة طائفتهم بشكوى الى حاكم المدينة، يسألونه فيها معاقبة هؤلاء المرتدين لإلحاقهم العار بملتهم وارتكابهم ذنباً لا يغتفر، وقدّموا قائمة

بأسماء (المذنبين)، واختاروا كبير أحبارهم، ليمثلهم داخل قاعة المحكمة، باعتباره أكثرهم خبرة وحكمة.

وبعد أن حدد الحاكم موعدا للجلسة، وحضر كلا الطرفين وجلس الجميع داخل قاعة المحكمة.

سأل الحاكم جماعة اليهود التقدم بشكواهم.

لاذ الجميع بالصمت وراح ينظر بعضهم الى بعض، عندها نهض كبيرهم للبدء بالكلام وقال:

سيدي.. إن هذه الجماعة قد خالفت ديننا ولم تتقيد بقوانين كتابنا "التوراة" وكسروا قدسية يوم السبت بالعمل والكسب، والأدهى من ذلك انهم بدأوا يتناولون طعاماً قذراً غير طاهر.

تعجّب الحاكم عند سماعه كلام كبير الأحبار، وسأله مقاطعا:

وماذا أكلوا؟!

أجاب الحبر: ما يبيعه المسلمون من لحم وجبن و..

وعلى الفور.. بانت علامات الغضب على وجه الحاكم ولم يترك للحبر مجالا لتكملة كلامه والاستمرار بتعداد بقية أسماء المأكولات القذرة، وصرخ بصوت عال:

مـاذا..؟! هل جئتم الى هنا لتقولوا لي انكم تعتبرون طعامنا قذراً غير طاهر رغم وجودكم داخل مجتمعنا؟ ثم التفت الى الحرس وصاح آمراً:

إضربوا هؤلاء اليهود وارموهم خارجاً، فلا أريد رؤيتهم هنا ثانية.

(14)
"رحلة صوفي"

"وجداني" شاب رقيق القلب والمشاعر مثل كثير الناس، إشتاق دائما في الوصول الى الراحة النفسية والاطمئنان الذاتي، ومع أنه ينحدر من عائلة غنية ميسورة الحال، إلا أنه لم يهتم بهذه الأمور المادية ولا بالمناصب العالية والوظائف الرفيعة التي كان باستطاعة أهله وأقربائه توفيرها له بسهولة. فرغبته الوحيدة كانت في الوصول الى القناعة الروحانية ليس إلا.

ذات يوم، دخل أحد المساجد ليؤدي فريضة الصلاة، فأصغى لرجل دين وهو يلقي محاضرة في ساحة المسجد. شدّه سحر الموضوع وجاذبيته، ووجد نفسه ينضم الى الجالسين يستمع لخطبة رائعة عن التجرد والقناعة والانقطاع. وأحدث المتكلم الفصيح انطباعاً جميلا في عقل الشاب وقلبه، لدرجة أن وجداني قام بعد المحاضرة وتبع رجل الدين وهو يطلب منه قبوله تلميذاً بين تلاميذه.

مرّت الأيام والأسابيع ووجداني يحضر جلسات دروس الشيخ الجليل وينصت اليه ويتعلم منه.

لكن دوام الحال من المحال، فلقد فوجئ ذات يوم بانقطاع الشيخ عن محاضراته وغيابه. فتعجب وجداني عندما راحت الأيام تمضي والشيخ مستمر في غيابه، وعندما سأل البعض عنه، قيل له:

أن الشيخ قد تحول من دين الاسلام الى الديانة البابية، لذلك منع من دخول المسجد ثانية لهذا السبب.

كان وجداني قد سمع الكثير مما حصل للبابيين من قصص مفزعة مذ أن كان طفلاً. فخاب أمله في الوصول الى بغيته في سعادة روحية، وجلس يناجي الله ويقول:

يا إلهي.. ماذا جنيت أنا لأستحق كل هذا؟ فبعد كل ما بذلته في البحث والتقصي، أجد نفسي في النهاية منجذباً الى أفكار كافر ملعون.

ولإرضاء فكره المضطرب ولاطمئنان قلبه المشتاق، حلق وجداني شعر رأسه ووضع عمامة والتحق بإحدى المدارس الدينية. لكن ذلك لم يستمر طويلاً، فسرعان ما شعر بجو المكان الخانق وضيق أفق زملائه وتعصبهم. فانسحب خائباً وروح البحث والتقصي ما زالتا تتقدان في عقله.

بدأ الشاب الحائر يصرف معظم أوقاته في الصلاة والعبادة والتأمل. فصام وتعبَّد وتزهَّد وسلك نهج الدراويش متناسياً رغبات جسده.

وذات يوم، وبينما هو في طريقه الى المسجد لأداء فريضة الصلاة، شاهد درويشاً كبير السن يجلس أمام دكان صغير. ورغم ان منظر الدراويش كان مألوفاً في تلك الأيام، الا أنه شاهد في هذا الدرويش أمراً مختلفاً عن غيره، فهو نظيف الهيئة وشعر رأسه ولحيته مرتبان وعباءته نظيفة وطويلة تمس كاحله، كما وتبدو عليه قوة روحانية لا يمكن تجاهلها.

وقف وجداني أمام المحل الذي جلس الدرويش على عتبته، تشده قوة خفية تمنعه من مفارقته، وبقي محتار يسأل نفسه: كيف يبادر الدرويش ويتكلم معه ويتعرف عليه.

انتبه صاحب الدكان لحالة الشاب وهو يقف أمامه متسمراً لا يلوي على شيء، وسأله عن بغيته وحاجته، فلم يكن منه الا أن طلب بارتباك واضح شراء علبتي كبريت، دفع ثمنهما وانصرف على عجل.

وفور انتهاء وجداني من الصلاة، عاد مسرعاً الى نفس المكان، لكنه وجد ذلك الدرويش قد ترك عتبة الدكان واختفى.

وكعادته.. عاد الى غرفته يمضي ليلته في الصلاة والدعاء، ومع ذلك لم يستطع نسيان صورة ذلك الرجل. وخرج من بيته في صباح اليوم التالي يبحث عنه، واحساسه يقول انه سيجد لديه الحقيقة التي يبحث عنها.

وكم كانت فرحته كبيرة عندما عثر عليه، فألقى بالتحية والسلام وجلس بقربه يستمع إليه، وبمرور الوقت، أدرك صدق حدسه وشعر نحو الدرويش باحترام شديد.

ولشدة تعلق وجداني بالشيخ، قرر استئجار بيت مجاور لبيت الرجل والسكن فيه ليكون على مقربة منه كلما أراد سماعه ولقائه. لكنه ومع مرور الوقت، راحت فكرته عن الشيخ تتغير بالتدريج يوماً بعد يوم، بعدما وجد اختلافا واضحا بين بعض مفاهيمهما، إلا أنه بقي يؤمن بقوته الروحانية الخفية، ولم يثن عزمه ما كان يكرره الدرويش بعدم تصديق ما يدور بين الناس من شائعات حول قوى الدراويش الخفية. وخاصة بعد أن سأل شيخه تعليمه آية قرآنية ليرددها أثناء صلاته حتى يصل الى الحقيقة. وازداد تعجبه أكثر عندما طلب الدرويش منه نبذ العزلة والاختلاط بالناس والمجتمع وتغيير ملابس الدروشة.

لكن وجداني اقتنع ببعض أفكار الشيخ، ووجدت تلك الكلمات والنصائح طريقاً الى قلبه.

وفي ذات صباح.. خرج وجداني على أهله وأصدقائه وهو يرتدي ملابس جديدة مختلفة وقد خلع عنه تلك الملابس القديمة. ففرح أهله وأقرباؤه بهذا التغيير وأسرع ابن عمه الحاكم بتوفير وظيفة حكومية جيدة له. ونقل وجداني مسكنه بعيداً عن بيت الدرويش. لكنه بقي يعتبره معلمه وقائده الروحي، لانه كان درويشا بقلبه رغم أنه لا يرتدي زيّهم.

مضت الأيام.. ووجدت الحياة المادية تأثيرها التدريجي على حياة الشاب، ووهنت قوته الروحانية، لكن حنينه الى الأيام الماضية الجميلة بقي يراوده.

في هذه الأثناء تعرف وجداني على شخص يدعى الأستاذ علي. وبمرور الوقت، توثقت العلاقة بينهما وأصبحا صديقين حميمين، ولاتفاق آرائهما في كثير من الأمور، صرفا وقتاً كبيراً في الصلاة والدراسة والبحث في المسائل والأمور الدينية الغامضة.

ذات يوم.. دار بينهما حديث عن خصوصيات حياة رسل الله وأنبيائه الجسمانية على الأرض، وكيف كانوا يعيشون بين الناس. فقال وجداني بصوت يملؤه الحزن والأسى:

مع شديد الأسف إننا لم نخلق في زمنهم، لقد حرمنا من فيض نعمة لقائهم المباشر الشافي للأرواح.

وهنا.. لم يستطع الأستاذ علي امساك لسانه أكثر من ذلك بعد سماعه هذه الكلمات ومعرفته مكنونات قلب الشاب، فقال يخاطب صاحبه وهو مدرك أنه سيصدمه بما سيقوله:

نحن نعيش الآن في زمن عظيم.. ان هذه الأيام هي التي بشَّر بها كل الرسل والانبياء السابقين. هذا هو اليوم الذي اشتاقوا جميعاً لرؤيته. ان الموعود الذي أخبرت عنه جميع كتب الله قد ظهر، وهو الآن موجود على الأرض.

كانت ردة فعل وجداني لسماع هذا الخبر، قوية جداً، ووقع عليه كوقع الصاعقة. وعلى الفور ارتمى على الأرض وراح يسجد لله ويشكره على هذه النعمة العظيمة، ووافق على الفور ودون تحفظ على الايمان بظهور الموعود والتسليم له. وشعر بأن هذا هو مرغوب نفسه وما يبحث عنه منذ سنين طويلة. فتوسل الى صاحبه أن يرشده الى مكانه ليتشرَّف برؤياه في الحال.

لكن أستاذ علي قال له مهدئاً:

من الحكمة أن لا تتكلم في هذا الموضوع لأي شخص، وستعلم السبب فيما بعد.

لم يفهم وجداني مقصد صاحبه، وبقي يتساءل عن سبب الكتمان طالما ان جميع الناس من حوله يدعون ربهم في صلاتهم وتعبدهم ليل نهار لاستعجال ظهوره ومجيئه. أليست هذه من أعظم البشارات الى الناس!!؟

مع مرور الوقت.. انتبه الناس لتبدل حالة وجداني المفاجئة، ولما لم يعرفوا سببا محددا لها، راح كل واحد منهم ينسبها الى أمر معين أو الى تناوله مشروبات خاصة بالدراويش، ولم يدركوا السبب الحقيقي من استمراره في ترتيل الأدعية والمناجاة وتمجيد الله وقراءة الأشعار الروحية وهو يمشي ويجول في شوارع المدينة وأزقتها.

قصَّ أستاذ علي في لقائهما التالي على صاحبه حكاية ذلك الشاب الشيرازي "حضرة الباب" الذي ظهر ليبشر الناس ويعدّهم لاستقبال ظهور من هو أعظم منه شأناً، وراح يتكلم عن قداسته ونزاهته وسيرته العطرة وعلومه العظيمة رغم أنه لم يخالط العلماء ولم يجالسهم أو يدرس تحت يد أحد منهم، وأن أكثر ما تعلمه وهو طفل صغير هي مبادئ القراءة والكتابة عند دخوله "الكُتّاب" عند شيخ دين لفترة بسيطة لم تتجاوز أياما قليلة. كما وأخبره بقصة استشهاده وما حصل له أثناء تنفيذ حكم الإعدام به.

أنصت وجداني لمحدثه بتمام الانجذاب، وحزن لجهله بوقوع كل هذه الأحداث وضياع مثل تلك الفرصة الرائعة لرؤية وجه رسول الله قبل استشهاده.

لكن أستاذ علي، واساه مطمئناً، وأخبره أن الموعود الذي بشّر بظهوره ذلك الشاب المبجل، ما زال يعيش على الأرض حتى الآن.

مضت عدة أيام، ووجداني يحلم بموعد زيارة الموعود ومتى سيتشرف بمحضره المبارك، لكنه ومع شديد العجب، أكتشف أن الأستاذ علي، ما هو الا أحد البابيين المنبوذين الذين يكرههم الجميع. فلم يحتمل وقع مثل هذه المفاجأة عليه، وأسرع بتجنب صاحبه وتركه، ثم جمع حاجياته وغادر المدينة الى مكان آخر.

وبهذا يكون وجداني قد فشل في الاختبار مرة اخرى.
جلس وجداني ذات يوم وحيداً يناجي الله في كربته ويقول:
يا الهي.. بحثت عن الحقيقة ليل نهار، صليت وصمت لك طويلاً لتقودني الى الطريق الصحيح والصراط المستقيم، وفي النهاية، أجد نفسي في كل مرة بين يدي بابي آخر. فماذا فعلت لتعاقبني بهذا الشكل!؟
ذات يوم.. وبينما هو يتنزه مع جمع من أصحابه في الحقول، خطرت في ذهنه فكرة اعتزال العالم مرة أخرى والسعي في أثر المحبوب أينما كان، وأطلع رفاقه على فكرته، فوافقه ثلاثة منهم، لكن قسوة الرحلة كانت شديدة عليهم، ولم يستطيعوا الاستمرار وتكملة المشوار معه، فانسحبوا واحداً تلو الآخر تاركينه هائماً لوحده مرتدياً ملابس الدراويش مسافراً من قرية الى قرية ومن مدينة الى أخرى يبحث عن مرغوب نفسه. ولم تتمكن من إزالة كربه، لا علوم الملالي المعممون ولا أفكار الدراويش ولا ما سهر الليالي في قراءته بين صفحات الكتب الكثيرة. ففكّر بترويض نفسه واخضاعها، وقرر تحمل كل أنواع المشقة من جديد، لعله يصل بغيته في هذه المرة. فحمل صحن تسوّل مثلما يفعل الدراويش، وسار وحيداً يتلو الآيات القرآنية بصوت عال ويقرأ أشعار "حافظ" ويبكي وينوح في فراقه وبعده عن المحبوب.
فأكسبته حالته هذه، عطف الناس ومحبتهم، وحسبه الكثير منهم رجلاً مقدساً، وسعوا في طلب بركاته. لكنه لم يكن يأبه للشهرة ولا للمقام ولم يستقر في مكان معين. ومع مرور الوقت.. تمزقت ملابسه وبلت، ولم يبق عليه الا ما كان يستر جسده بالكاد وقطعة جلد وضعها على كتفه يستعملها كفراش له عند النوم.
صادف ذات يوم، ان مرّ بالقرب من مدينة أستاذه القديم، فشعر برغبة شديدة في زيارته، لكنه خشي تعرّف الناس عليه، لذا انتظر حلول الليل لدخول المدينة، إلا أن أبوابها لم تكن تفتح إلا نهاراً، لهذا قرر الانتظار حتى الصباح.
وبينما هو يسير بين أزقة المدينة، اكتشف انه لم يكن بحاجة للظلام أو الى للتخفّي حينما مرَّ به أحد أقربائه ولم يتعرف عليه رغم لقائهما وجهاً لوجه.
لكن أستاذه القديم تعرّف عليه بسرعة، واغرورقت عينا وجداني بالدموع وهو يشاهد أستاذه العزيز مرة ثانية. وتذكر ما كان يردده دائماً:
كل ما نستطيع تقديمه للمحبوب (جسداً مرهقاً وقلباً كسيراً).
نعم.. هذا كل ما لدى وجداني الآن "جسداً مرهقاً وقلباً كسيرا". فهل ينعم بالراحة في النهاية؟
سأله الدرويش:
يا بني.. هل وجدت الحقيقة خلال تجوالك وأسفارك؟
أجابه الشاب:
لا ياسيدي العزيز، لم أجدها الا مع جماعة تدعى البابية.
قال الدرويش:
لقد وصلت نهاية رحلتك اذن. لقد ظهر الموعود حقاً، ومجَّد هذا اليوم من قبل جميع الرسل والأنبياء السابقين.
ازدادت وترسخت معرفة وجداني بالديانة الجديدة، وهو يستمع الى حديث أستاذه القديم، وبدد لقاؤهما كل شكوكه، ورفعت الأستار عن بصره واستطاع فهم الأمر بصورة أفضل: وقال وهو يخاطب نفسه:
يا للعجب، ما أغرب طرق الله ووسائله، كنت أحاول الهرب من الحقيقة دائماً، لكنها بقيت تلاحقني أينما ذهبت.
في النهاية، إمتلأ قلب وجداني بالطمأنينة التي طالما اشتاق لها، ونسي جميع تجاربه وآلامه الماضية.

(15)
" السجين الأخرس "

انتشرت اشاعة بين سكان مدينة أصفهان كانتشار النار في الهشيم، مفادها: انهم جاءوا برجل بابي سجينا مكبلا بالسلاسل من مدينة يزد في هذا اليوم.

في تلك الأيام كان البهائيون يستطلعون أخبار رفاقهم من كل شخص له صلة بالموضوع. وعلى الفور إجتهدوا في معرفة شخصية المعتقل القادم. لكنه لم يكن هناك من يفيدهم بأي شيء عنه أو الى أي قسم تم نقله داخل السجن؟.

إقترح سينا على بعض أصدقائه وهو الذي أطلق سراحه من نفس السجن قبل يومين فقط، أن يذهب بنفسه ليستفسر من صديقه السجان عن شخصية القادم الجديد. فوافقوا على اقتراحه بعد أن حذروه وأوصوه باتخاذ سبيل الحيطة والحذر.

وبهدوء تسلل خلال الأزقة الضيقة المتعرجة الى ذلك السجن الكئيب، حيث قضى فيه مع أخيه نير ليال طويلة ينتظران تنفيذ حكم الأعدام الذي صدر بحقهما من مجتهد مدينة اصفهان، ولم يخطر في بالهما في تلك الليالي الموحشة أنهما سيشاهدان العالم الخارجي أو سماع صوت ضحكات أطفالهما مرة ثانية.

والحقيقة، لو علم كل من شاهد سينا وهو في طريقه الى السجن بوجهه الجميل وعمامته ونطاقه الأخضر انه بهائي ذاهب لزيارة سجّانه السابق، فلن يصدق ذلك أبداً.

قابله السجّان بلطف كبير مبديا استعداده لمساعدته، لكنه أخبره بعدم جدوى المحاولة، فالسجين القادم أخرس وأطرش وسوف لن يتمكن من فهم أي شيء منه. وقال له:

ومع ذلك.. سوف آخذك اليه لتراه وتتعرف عليه.

سار سينا مع سجانه القديم بين ردهات السجن المظلمة ووسط أقذر أقسامه الممتلئة بأعتى المجرمين والقتلة وقطاع الطرق، وهو يستمع لتعليقاتهم وترحيبهم، ينزل سلما ويصعد آخر، ويتساءل في نفسه عن شخصية هذا السجين البهائي الأبكم ومن عساه أن يكون؟

أخيرا وصلا الى زنزانة مظلمة كئيبة رطبة تفوح منها روائح الأوساخ والعفونة الكريهة تكدس فيها سجناء غالبيتهم أنصاف عراة حشروا بجانب بعضهم البعض وقيد الكثير منهم بسلاسل حديدية ثقيلة.

وإذا بنظر سينا يقع على وجه رجل مألوف تعرف عليه بسرعة كبيرة، انه صديقه القديم.. ورقاء.. وكان مصفداً بالسلاسل والأغلال.

بعدما فتح السجان باب الزنزانة الصدأ الثقيل وصوت صريره يقشعر الجلود والأبدان، نزل سينا بحذر عدة درجات من سلم عتبة الباب وتقدم من صديقه الذي نهض واقفا على قدميه رغم ثقل سلاسله ليعانقه ويقبله بحرارة كبيرة، ثم ليتحركا بحذر وبطأ مخترقين صفوف بقية السجناء ليأخذا لهما مكانا قصيا في ركن من أركان الزنزانة البعيدة، إذ لديهما الكثير ليقولاه ويخبرا به بعضهما البعض.

عندما فتح ورقاء فمه وبدأ بالكلام، لم يصدق السجناء ما تراه أعينهم وما تسمعه آذانهم، وأعتبروها معجزة قام بها هذا السيّد الزائر المقدس وهو يبارك زنزانتهم. وتعجب سينا لتعجب الحاضرين، وطلب من ورقاء تفسير ما يجري ويدور، فقال جناب ورقاء:

كما ترى يا صاحبي.. عندما ألقى رجال الشرطة القبض عليّ، وراحوا يخاطبوني بكلمات وألفاظ غير مؤدبة من مدينة يزد الى هنا، فضلت التظاهر بعدم سماعهم والامتناع عن الكلام، ووجدت ذلك مريحاً حتى وقت وصولك.

(16)
" قصيدة ورقاء "

قبض على جناب ورقاء البهائي الشهير بأمر صدر من جلال الدولة حاكم مدينة يزد، حينما كان في رحلة تبليغية لنشر الدين البهائي بين الناس. وبعد القاء القبض عليه، أمضى عاماً كاملا داخل السجن. وخلالها أرسل مخفورا ومكبلا بالحديد الى سجن أصفهان حيث تعرَّف في داخله على سجين لطيف آخر مغرم بالشعر والشعراء.

ذات يوم.. استلم هذا الرجل نسخة من مجموعة أشعار سبق وألقاها عدد من الشعراء في احدى جلساتهم الشعرية. وبعد تصفحها، قدّمها لورقاء ليلقي نظرة عليها. فألهبت أبيات الشعر قريحة جناب ورقاء ومشاعره رغم ثقل سلاسله وقذارة المكان ورداءة جوّه الموبوء، ففاضت قريحته ببضع أبيات جميلة من شعره الخاص.

عندما سمع السجين أبيات القصيدة وفهم معاني كلماتها، استفسر من ورقاء عن ديانته. فكانت فرصة لطيفة لورقاء لتبليغ الأمر المبارك الى هذا القلب الجديد، ولم يمض وقت طويل حتى آمن الرجل وأصبح بهائيا.

ذات يوم.. دخل الحاكم جلال الدولة سجن اصفهان لتفقده، وكان على معرفة سابقة بورقاء وصاحبه السجين، وضمن جولته داخل أرجاء السجن، مرّ على زنزانة ورقاء ودخلها، ووقف أمام الرجلين المكبلين وعلى وجهه علامات الشماتة والاستهزاء، وحدَّق ببصره على قدمي ورقاء وهي مصفدة، وقال له:

لماذا لا تفعل معجزة وتفك قيود أقدامك ان كنت نبياً؟

أجابه ورقاء:

لم أدعِ أبدا أنني نبيّ، وليس باستطاعتي عمل المعجزات.

لاحظ جلال الدولة في هذه الاثناء، مجموعة الأوراق بيد السجين الآخر، فمد يده وسحبها ثم بدأ بقرائتها. وسرعان ما ارتسمت على وجهه علامات السرور والتعجب لجمال أبياتها، وخاصة عند قراءته لقصيدة ورقاء، فالتفت اليه وقال:

لم أعلم ان لدينا شاعراً عظيماً نزيلاً هنا.

وقبل أن ينهي جلال الدولة زيارته التفقدية للسجن ويغادره.

أمر بفك قيود قدمي ورقاء وتحريرها!!

(17)
" الأطفـال "

كان عمر "طيبة" خمس سنوات عندما أخذوها الى السجن بصحبة أخيها الصغير "جمال"، لرؤية والدهما السجين ميرزا حسين. فاستغرب الطفلان لرؤية والدهما وهو مصفد بالاغلال في ذلك المكان القذر يحيط به رجال متوحشون من كل شكل ولون.

سألت البنت والدها بقلق شديد بعد أن سمعت بخبر ترحيله قريباً الى سجن طهران:

هل صحيح ذلك يا أبي؟

أجابها مبتسماً:

نعم يا بنيتي.. وسأجلب لك فستاناً جميلا ترتديه في عيد النوروز.

وبسرعة ارتمت الطفلة على والدها تحتظنه ولتحيط رقبته بذراعيها متوسلة اليه والدموع تملأ عينيها الصغيرتين وهي تقول:

لا يا والدي أرجوك لا تذهب، لا أريد فستاناً جديداً.

نظر الأب في عينيها.. فمست نظرات الحزن لبّ قلبه وشطرته الى نصفين، وأدرك ان حديثه مع أولاده هو أقسى أنواع اختبارات التحمل، فدعى الله أن يبقيه جلداً ثابتاً حتى النهاية. ثم التفت اليهما، وقال:

عليكما بالذهاب الآن.. ثم أخرج من جيبه قطعاً نقدية نحاسية قدمها لابنته قائلا:

اشتري لك ولأخيك بعض الحلوى في طريق عودتكما الى البيت.

أجابته طيبة:

لا يا والدي.. احتفظ لنفسك بالنقود.. فقد تحتاجها لشراء شيء ما خلال رحلتك.

كان ذلك آخر لقاء بين الأولاد ووالدهم. بعدها نقل ميرزا حسين الى سجن طهران ولاقى من الضرب والتعذيب الشيء الكثير.

أما الأطفال فكان لهما في نفس الوقت نصيبهم من العذاب أيضا، إذ أحاط بمنزلهم ذات يوم في مدينة زنجان فوج من الجنود المسلحين، جاءوا بأمر من الحاكم ومن رجال الدين لاخلاء البيت ممن فيه والاستيلاء عليه. فهرع الطفلان ليتعلقا برقبة والدتهما خوفاً من أن يأخذها المسلحون معهم.

لم تكن عائلة ميرزا حسين تسكن وحيدة في هذا البيت، فلقد التجأت اليه العديد من النساء البهائيات المشردات ممن فقدن بيوتهن وأزواجهن وآباءهن أو معيلهن، وكنَّ يتوقعن على الدوام مزيداً من المصائب والبلايا. أما في ذلك اليوم، فيبدو أنه لم تكن للجنود رغبة في القتل والاعتداء، إنهم جاءوا لنهب محتويات البيت وهدم بنائه فقط.

وقف جمع النساء والأطفال ينظرون الى الجنود وهم يحملون كل شيء من سجاد وفضيات وكريستال وما شابه معهم.. ولم يتركوا حتى عجين الخبز! وبانتهائهم من عملية السلب والنهب، بدأوا بهدم البيت حجرا حجرا، وعندما احتاجوا الى المعاول والآلات، أجبروا النساء والأطفال للبحث عنها وإحضارها لتنفيذ مهمتهم، والا لاقوا منهم عذاباً أشد وأقسى.

كانت أحجار البيت وأجزاءه تتساقط وتتهاوى الى الأرض في نفس الوقت الذي كانت تتساقط فيه وتتهاوى كلمات اللعن والشتم على البهائيين وعقيدتهم. وبإنتهاء الجنود والغوغاء من مهمتهم، لم يكن هناك لا جدران ولا أبواب ولا حتى نوافذ، ولم يبقوا حجرا على حجر.

ومع ذلك.. لم يكتفوا بكل ما فعلوه من تخريب، بل توجهوا الى حديقة البيت فهدموا سورها واقتلعوا أشجارها وأتلفوا ثمارها، آملين بذلك معاقبة الكفرة المارقين وكسب الثواب من الله لدخول جنته!

وهكذا.. ترك الطفلان طيبة وجمال ببطون خاوية وبلا ملابس تقيهم برودة الليل القارس وسط أنقاض بيتهما. فالتصقا بأمهما يلتمسان شيء من حرارة جسدها، وكان سماع وقع أقدام أي شخص قادما يكفي لاثارة الرعب والهلع في قلبيهما الصغيرين. ولم يمتلك أي صديق أو قريب الجرأة الكافية للاقتراب منهما للمساعدة وتقديم العون، وأصبح الكثير من أصدقاء الأمس، ألدّ الأعداء لعائلتهما!

عند اشتداد برودة الليل، قررت النساء الحائرات الالتجاء الى بناء مرقد مقدس قريب من المكان للاحتماء فيه وقضاء بضع ساعات لكسب ساعات قليلة من النوم والراحة. لكن حارس المكان طردهن بشدة واسمعهن كلاما خشناً جارحاً بعدما اكتشف حقيقة شخصياتهن.

وخوفاً على صحة الطفلين من الاصابة بالبرد، أودعتهما النسوة وهن في طريق عودتهن في بيت أحد الأصدقاء ورجوّن رعايتهما حتى ينجلي الموقف ويتدبرن أمرهن. بينما توجهن الى بيت صديقة لهن يرجونها المبيت عندها ولو لتلك الليلة فقط، فوافقت المرأة على مضض واشترطت مغادرتهن المكان قبل بزوغ الفجر دون تأخير.

استمرت أحوال النسوة على هذا الحال، وكنَّ يجلسن خلال النهار بين أنقاض المنزل ويلتجئن لبيت صديقتهن أثناء سواد الليل بعد أن توسلن لها وأقنعوها بمساعدتهن. ورغم سجن الأزواج وهدم البيوت وابتعاد الأصدقاء، لم يتركهم الأعداء على حالهن، فكانوا يتجمعون حولهن ليسخروا من جلستهن على هذه الحالة المزرية ويسمعوهن ألذع أنواع الكلام ويذيقوهن عذاباً فوق عذاب. لكنهن أظهرن شجاعة واستقامة أذهلت جميع الأعداء في تلك الأيام العصيبة.

بعد عدة أيام.. جاء عمّ الصغيرين الى بيت تلك المرأة الطيبة ليأخذهما الى منزله وليشترى لهما ملابس جديدة بعدما تمزق ما عليهما من رداء. لكن البنت الصغيرة فهمت رغم صغر سنها من عبارة كان عمها يكررها، خجله من والدها، فلقد كان يقول:

لا يمكن لأي أخ احتمال عار أخ بابي، فأنا لم أعد أستطيع رفع رأسي بين الناس بعد الآن، ياليته كان قاتلا أو لصاً أو زانياً ولم يكن بابياً.

وقرر ذات يوم استدعاء رجل دين ليضع الشهادة في فمي الطفلين ليردداها أمام شهود، حتى يؤكد للجميع انهما ما زالا مسلمين حقيقيين.

صعب على الطفلة "طيبة" فهم معنى هذه العبارة، واعتقدت أن عمها يخطط لتعذيبهما بوضع هذه "الشهادة" في فمهما. ومع سعة ورحابة بيت عمها الكبير، إلا انه أصبح كالسجن الصغير لها، وبدأت تفكر بطريقة للهرب مع أخيها.

ومرة أخرى، صادف أن سمعت الفتاة عمها وهو يقول:

لقد تأخرنا بوضع الشهادة في فم الطفلين، علينا بالاسراع واستدعاء عدد من رجال الدين ليشهدوا ذلك.

ارتعبت الفتاة بشدة هذه المرة لاقتراب الموعد المحدد وأسرعت لاحتضان أخيها وهي تفكر جاهدة في وسيلة تنقذهما من الخطر القادم.

لم يكن في البيت من يطمئنان له لسؤاله أو يلجئان اليه لمساعدتهما، فالجميع كانوا في صفّ عمها، فوالدهما كان سجينا مقيدا داخل زنزانة السجن، وأمهما وبقية النساء كن ما يزلن يجلسن وسط أنقاض بيتهم الجميل والأعداء يحيطون بهن من كل جانب.

فجأة خطرت في رأسها فكرة، فقالت لأخيها تهمس في أذنيه:

جمال.. لو أخبرتك بشيء هل تعدني أن لا تخبر أحداً به؟

أجابها جمال موافقاً بايماءة من رأسه الصغير.

تلفتت الفتاة لتتأكد من عدم وجود من يسمعها، ودنت من اذن جمال لتهمس فيها:

سيأتون بأحد الرجال ليضع الشهادة في أفواهنا.

فسألها جمال ببراءة:

وما هي الشهادة؟

أجابت، وهي لا تعرف ماذا تعني الكلمة:

انها شيء مرعب ومخيف، كأنها جمرة نار يضعونها في الفم ويحرقون بها اللسان.

نظر جمال في عيني أخته برعب وارتباك، وسألها:

ولماذا يفعلون ذلك؟ ماذا فعلنا؟

أجابته ببساطة:

نحن بهائيون، وهم يكرهوننا.

ورغم ان الصبي لم يفهم شيئاً من عبارة أخته، الا انه سبق وشاهد من العذاب ما فيه الكفاية وما أثار رعبه وأفهمه أن الخطر ليس ببعيد عنه. فتقرب من أخته طيبة، يسألها:

وماذا سنفعل؟
أجابت:
علينا بايجاد طريقة للهرب، لكن عليك أن لا تخبر أحداً، عدني بذلك، والا قيدونا ورمونا في قبو البيت.
لم تكن عملية الهروب يسيرة على الصغيرين، فالبيت كان يعجّ بالزوار والخدم بين داخل وخارج.
وقفت طيبة متحفزة تنتظر الفرصة المناسبة، وعندما حان الوقت أمسكت بيد جمال وسحبته نحو الباب، وفتحته بهدوء لتنظر خارجاً، ولما لم تشاهد من يتعرف عليهما، همست في اذن جمال:
أركض.. أركض..
فأطلق الصغيران ساقيهما للريح واختفيا.
وعند وصولهما الى حيث تقيم أمهما، احتضنتهما بشوق كبير وشرحت لهما معنى وضع الشهادة في فمهما، وضرورة عودتهما الى بيت عمهما. إلا أنهما رفضا العودة، وعادا ليلتصقا بها يطلبان دفئها وهما فرحان برؤيتها ثانية.
لكنه لم يكن لدى الوالدة المسكينة ما تعطيهما سوى.. دفئها ومحبتها.

(18)
" الاتصال بالسجناء "

انتشرت الأخبار بسرعة بين أحباء مدينة طهران عن وصول أربعة من زملائهم البهائيين وهم مكبلين بالسلاسل قادمين من مدينة زنجان الى سجن العاصمة، وكان بينهم جناب ورقاء الشهير وولده اللطيف روح الله.
كانت هذه هي مجمل المعلومات التى حصلوا عليها، ولم يجدوا وسيلة لمعرفة ما جرى للسجناء داخل السجن بعد وصولهم.
بعد عدة أيام، شوهد أحد الآباء ثائراً غاضباً وهو يصطحب ولده ويجره بقوة ويصرخ ويزمجر ويعده بالويل والثبور بين أزقة المدينة وشوارعها والناس تنظر اليه مستغربة وهما في طريقهما الى سجن المدينة. وبوصولهما.. وعندما شاهد الحراس حالة الرجل والشاب بين يديه وقد تمزقت ملابسه، حاولوا تهدئته واستيعاب حقيقة الأمر منه، فقال الوالد:
أن ولدي هذا.. إبن عاق وعاص لأوامري ولا يطيعني في شيء كلما طلبت منه تنفيذ عمل ما. ثم أصرّ على اعتقال ولده وحبسه تأديباً له حتى تتحسن أخلاقه.
كانت كلمات الأب الشديدة وحالته المرتبكة كافية لاقناع الحراس برمي الشاب دون تردد داخل السجن لثلاثة أيام، خالط الشاب خلالها السجناء البهائيين الأربعة وتعرَّف على شخصياتهم وأحوالهم.
وكلما كان يسأله شخص ما عن سبب غضب والده منه بهذا الشكل، أجابه:
أردت السفر الى عمي في مدينة همدان، الا انه رفض ذلك بشدة. فقررت الهرب من البيت، لكنه اكتشف ذلك وطالب بسجني.
بعد انتهاء مدة الثلاثة أيام.. أفرج عن الشاب وعاد الى بيت والده، بعدما فهم السجناء البهائيون الأربعة أنه ووالده كانا بهائيان، وتدبرا هذه الطريقة الغريبة ليتعرفا على شخصياتهم ويطمئنا على أحوالهم داخل السجن.
لكن أحوال السجناء الأربعة لم تبق كما هي عليه مع شديد الأسف، ففيما بعد أحكمت سلطات السجن المراقبة عليهم وشددتها وأوقعت عليهم عذابا قاسيا. فصعب على البهائيون في الخارج الاتصال بهم لعدة شهور. تم خلالها استشهاد جناب ورقاء وولده روح الله بشكل بشع. بينما رتبت للسجينين الآخرين محاكمة سريعة عجيبة

غريبة، انتهت بصدور أحكام الاعدام ضدهما أيضا. وفي يوم التنفيذ، طلب الحرس منهما اعطاءهما ما يرتديانه من ملابس وحاجات شخصية، فهم أحق بها من الجلاد. فخلع السجينان جميع ملابسهما الخارجية وأحذيتهما والجوارب وكل ما يملكانه وقدَّماها للحرس، إلا انهما بقيا يحتفظان ببضع قطع من السكر، وهما يقولان:

ان هذه القطع ستمنحنا مزيداً من الدماء، ولن يدعي الجلاد عند قطع رأسينا، ان البهائيين أقل غزارة دمً من الآخرين.

لكنه ولحسن الحظ، اتفق وحدث ولمدة ثلاثة أيام متتالية، انه وكلما أقتيد هذا النموذج من الأبطال الى ساحة الاعدام لقطع رأسيهما، يحصل أمرا طارئا يؤخر عملية التنفيذ. وراح هذا التأخير يمتد ويطول ويتأجل لأكثر من أربعة شهور، استطاعت خلالها بعض النسوة المؤمنات ايصال بعض الملابس والطعام لهما.

(19)
" حادثة غريبة "

عانى جناب ورقاء آلاماً جسدية مبرحة بسبب قيوده وسلاسله الحديدية وهو مكبل بها بصحبة حرّاسه وهو في طريقه من مدينة زنجان الى العاصمة طهران. فبالاضافة الى صعوبة امتطائه حصانه المحمل بالأمتعة الى جانبه، كانت أغلال قدميه الثقيلة تؤلم مفاصله مسببة له آلاماً مبرحة لا تطاق.

ومنذ أيام الرحلة الأولى.. تكونت بين بعض الجنود وبعض السجناء علاقة صداقة طيبة، أدت فيما بعد الى انتشار شائعة بين أفراد القافلة تقول بايمان الضابط المسؤول عن القافلة.

واحساساً من الحرس بالرحمة تجاه السجناء، رغبت غالبيتهم بتغيير وضعية جلوس جناب ورقاء على حصانه من خلال تغيير طريقة تقييده وترك قدميه تتدلى الى جانب الحصان وانزال ما بجانبه من الأمتعة والأحمال لتخفيف آلام مفاصله من ثقل القيود وقساوتها، فهو وكما يبدو رجلا محترما لا يستحق كل هذا العذاب.

لكن واحداً من الحرس كان قاسي القلب متحجره، لا يملك من الرحمة شيئاً، عارض فكرتهم بشدة ولم يوافقهم الرأي، وبقي يستعمل السوط لحث حصان جناب ورقاء على الجري والعدو حتى يتمتع بمنظر عذاب المخفور وهو يئن من الألم كلما تقافز الحصان ومالت أحماله، وبقي يعارض بشدة ويكرر قوله:

على هؤلاء السجناء التعساء أن يذوقوا مرارة العذاب قدر المستطاع.

ذات مرة وخلال الطريق، قال الضابط لهذا الحارس معلقاً على أفعاله اللئيمة:

انك أكثر ظلماً من أعداء المسلمين الأوائل..

فأجابه الحارس:

لا.. أبداً.. ان هؤلاء البابيين هم أسوأ من أعداء المسلمين، ومن واجبنا تعذيبهم وايقاع أشد أنواع الألم بهم، فهم يعتقدون أنهم ملائكة نزلوا من السماء ونحن شياطين الجحيم.

حزن ورقاء كثيراً لدى سماعه هذا الحوار، ولم يستطع كتمان الجواب في نفسه، فقال للحارس:

أسأل الله أن يحكم بيني وبينك.

وذات يوم.. وبينما كانت القافلة تسير، شاهد ذلك الحارس القاسي القلب، جدول ماء على مقربة من الطريق، فانطلق بحصانه يعدو نحوه ليشرب منه ويروي ظمأه، بينما كان بقية الجنود ينظرون اليه.

ترجَّل الرجل عن ظهر حصانه ودنا من الماء وشرب منه حتى ارتوى، ثم جلس واخرج سيجارة من علبة كانت في جيبه، وراح يدخنها.

فجأة.. إذا بالرجل الشرير يسقط على الأرض وهو يتلوى ألماً وراح صراخه يملأ المكان طالبا من زملائه مد يد المعونة اليه. لكن أحدا منهم لم يعرف ما خطبه وما أَلَمَّ به، وبقيت آلام معدته تشتد وتشتد وهم حائرون ماذا يفعلون له وكيف يخففون عذابه، مما اضطرهم معها الى نقله الى أقرب قرية لعلهم يجدون من يعالجه.

أحزن هذا الحدث العجيب جناب ورقاء كثيرا، فلقد كان هو بنفسه طبيباً، وكتب على عجل وصفة دواء للرجل لتخفيف آلامه، لكنها كانت عديمة الفائدة، إذ ما لبث الحارس أن مات وفارق الحياة.

إلا أن جناب ورقاء لم يغفر لنفسه ما قاله للرجل ساعة غضبه، وامتلأ قلبه بالندم لقساوته عليه وسؤال الله معاقبته.

(20)

" ضغينة عمياء "

فرحت والدة زوجة ورقاء، وهي من سيدات المجتمع البارزات وذات ثروة واسعة وذكاء حاد، بسماعها نبأ مقتل صهرها جناب ورقاء وولده روح الله الطفل الصغير بسبب ديانتهما البهائية. وأمرت باعداد وليمة كبيرة فاخرة، أحضرت لها فرقة موسيقية للعزف احتفالا بالمناسبة دعت اليها كل من تعرفهم من أقربائها وأصدقاء عائلتها.

لقد كان عداء وكراهية هذه المرأة للأمر المبارك وللمؤمنين به لا حدود لهما. فقبل عدة سنوات حاولت بنفسها حثَّ خادمها على اغتيال صهرها ووعدته بمكافأة مالية كبيرة. لكن الخادم وقع - دون علمها - تحت تأثير حلاوة بيان جناب ورقاء وعذوبة منطقه، وآمن معه بالدين البهائي، فأطلعه على مكيدة حماته، وحذَّرَه من مكرها وكيدها وما تدبره له من مؤامرات شيطانية للنيل من حياته. فاتخذ جناب ورقاء ما يلزم من الحيطة والحذر تجاه هذه المرأة اللئيمة للحفاظ على حياته.

عندما فقدت الحماة الأمل في قتل ورقاء بنفسها، وباءت جميع مؤامراتها بالفشل، ذهبت الى مجتهد دين معروف من أقربائها، وأخبرته بمفتريات كثيرة لا أساس لها من الصحة عن جناب ورقاء، مما أوغلت بها صدره تجاه صهرها، ولم تنس أن تخبره أن جناب ورقاء بهائي الديانة، وطالبته باصدار فتوى تبيح إهدار دمه وقتله.

أطرق المجتهد برأسه وراح يفكر، ثم قال لها أنه عاجز عن تلبية طلبها وارضاء رغبتها، طالما انه لم يقتنع شخصياً بكفر صهرها.

قالت المرأة الشريرة له:

باستطاعتي توفير الدليل الدامغ لك. سآتيك بولده الصغير لتراه، وستقتنع بعد مشاهدتك وسماعك اياه تماماً أن هذا الأب هو كافر يستحق القتل.

كان عمر الطفل روح الله ثمان أو تسع سنوات عندما جاءت به جدته الى المجتهد. وبعدما القى أحسن التحية على المجتهد واستقر به المقام بجانب جدته، طلبت منه ترتيل إحدى الأدعية أو المناجاة التي علمها إياه والده وحفظها له عن ظهر قلب.

نهض الصغير من مكانه، ووقف بكل خشوع وأدب أمام المجتهد، وأغمض عينيه وجمع يديه الى صدره وشَرَعَ بترتيل دعاء طويل لحضرة بهاءالله، ثم عاد ليجلس في مكانه.

ساد الصمت في أرجاء الغرفة وأطرق المجتهد برأسه متأملا بعد سماعه ترتيل الصبي. فلقد رقّ قلبه لسماع معاني كلمات هذا الدعاء الجميل وتأثر من مظهر خشوع الطفل الصغير وهو يقف بين يديه. بينما كانت الجدة تنتظر رأيه بفارغ الصبر.

بعد قليل.. رفع رأسه اليها يخاطبها، وقال مستنكراً:

كيف تجرؤين على طلب إعدام والد لقّن ولده مثل هذا الدعاء الإلهي الجميل؟!

(21)
" محـاورة "

بينما كان روح الله وأخوه يسيران في أحد شوارع مدينة زنجان، مرَّ بهما رجل دين وهو راكب على ظهر حماره. فنظر الى الصبيين وسألهما بعد أن فهم من هيئة ملابسهما انهما من بلدة أخرى:

من أين أنتما أيها الصبيان؟

أجابه روح الله: نحن أولاد جناب ورقاء من مدينة يزد.

عاد رجل الدين يسأل مرة أخرى:

وما هو اسمك؟

أجابه الصبي:

روح الله.

قال الشيخ، وقد ارتسمت على وجهه علامات التعجب محاولاً اطالة الحديث:

يا له من إسم عظيم. هذا لقب سيدنا عيسى محيي الأموات.

هنا تشجَّع روح الله، وقال يخاطب الرجل:

يا سيدي.. إذا خففت من سرعة حمارك. وتركت لي فرصة للحوار معك، فباستطاعتي أنا أيضا، ان أحييك وأخرجك من بين الأموات!

استغرب الرجل عند سماعه هذا الجواب من طفل صغير، وراح يحث حماره على الاسراع وهو يدمدم بصوت مسموع:

أنتما بابيان إذن.

(22)
" الطفل الشهيد "

روح الله، الطفل البهائي الرائع وشهيد الديانة البهائية، هو ابن الشهيد جناب ورقاء الحكيم. كان عمره اثنى عشر سنة فقط عندما شرب كأس الشهادة طافحة مع والده. ولقد أكسبته معرفته بالكتب المقدسة وقوة حججه وبيانه للدفاع عن دينه وفي حضور أقوى السلطات الدينية، وكذلك روعة أشعاره وجمالها وقداسة حياته، أكسبته العديد من المعجبين والمحبين في كل مكان، حتى أن أعداؤه قبل معارفه أعجبوا بفصاحته واعتبره الكثير منهم معجزة حيَّة لا شبيه لها.

عندما القى القبض عليه وعلى والده جناب ورقاء ومعهما ميرزا حسين، سيق الجميع الى طهران مقيدين والسلاسل في أعناقهم وأيديهم وأرجلهم. وخلال الطريق، رقَّ قلب الجنود لجاذبية هذا الطفل وحاولوا مساعدته لصغر سنه وحجم جسده، وتخفيفاً لمعاناته، رغبوا بنزع سلاسل رقبته الثقيلة عنه. إلا أنه رفض ذلك مؤكداً لهم أن سعادته تكمن في حملها مثل بقية السجناء، وذكَّرَهم بوجوب تنفيذهم أوامر الاعتقال كاملة وايصالهم مقيدين الى العاصمة طهران. وطوال مدة السفر، لم يسمعه أحد يشكو قط من طول الرحلة أو ثقل قيوده. بل كان على العكس، دائم الترديد للمناجاة وقراءة الاشعار بصوت عال.

أمر رجال الدين في احدى القرى التي مرت بها القافلة على الطريق، بضرورة إحضار السجناء أمامهم لرؤيتهم والتعرف عليهم، وشددوا على ذلك وأصروا بعد علمهم بوجود جناب ورقاء الشخصية البهائية المعروفة بينهم، تدفعهم لذلك شهرته التي انتشرت بين الناس وسعة علومه وبطولته في الدفاع عن دينه في كل أنحاء البلاد.

عندما أحضر الحراس السجناء مقيدين وأجلسوهم أمام المجتهدين لاستجوابهم، سرعان ما أدرك رجال الدين عجزهم عن مجاراة جناب ورقاء أو ولده روح الله الذي أدهش الجميع بعلمه وشجاعته أمامهم. ولما لم يستطيعوا إذلالهم بتفنيد معتقداتهم بالحجج والنقاش، حاولوا إثارة موضوع أمر قتلهم، عسى أن يتم قتلهم في قريتهم. فقالوا وهم يستحثون العموم على مهاجمتهم:

متى تتطهر هذه الأرض من هؤلاء الكفرة؟ ومتى يتطهر الدين الاسلامي من أعدائه؟ ماذا تنتظرون؟ هل ستتركون هؤلاء البابيين يعيشون بينكم؟

لكن استنهاض روح العداء لدى الحاضرين، لم يجد أذناً صاغية ولم يتحرك أهل القرية لمهاجمة السجناء الذين استعدوا للقاء الموت في سبيل عقيدتهم، وذلك لوقوف مجموعة الجند والحرس بأسلحتهم في وجوههم وهم في حالة الاستعداد لاطلاق النار، عازمين على ايصال السجناء الى العاصمة سالمين.

في نفس الوقت، تصادف أن وصل صهر أحد ضباط الحرس لالقاء نظرة على جموع الحاضرين وعلى السجناء، فألقى التحية ووقف على مقربة من المكان يشاهد ما يجري بعد أن شده تجمهر الناس.

عندما شاهد الضابط وصديقه العسكري الواقف بجانبه، صهره وهو يقف قريباً منهما، قررا ممازحته باسلوب سمج ثقيل.

فنادى الضابط على اثنين من حراسه وأمرهما بالقاء القبض على صهره وإتهامه بتهمة البابية.

فتقدم الحارسان نحوه يخاطبانه بلغة فظة وهما يصيحان به:

أخيراً أصبحت بابياً، أليس كذلك يا أبن الـ... حسناً سنريك ماذا سنفعل بكم.

لم يستطع المسكين من شدة الدهشة والارتباك الرد عليهما، فجحضت عيناه وأطلق صرخة رعب عالية وسقط على الأرض مغشياً عليه، مما جعل الواقفون يظنون أنه أصيب بسكتة قلبية فارق الحياة على اثرها.

وبعد أن ربتوا على وجهه ويديه ورشوا الماء عليه، استعاد المسكين وعيه وراح ينظر برعب في وجوه الواقفين فوق رأسه، وسمعهم يسألوه:

ماذا حدث لك؟ لم كل هذا الرعب؟ كنا نمازحك فقط.. أنظر الى هذا الطفل روح الله، كم هو شجاع ولا يخاف.

احتاج الشاب المسكين المجندل على الأرض بعض الوقت للنطق والرد عليهم وهو ينظر الى ناحية روح الله وقال:

نعم انه شجاع.. لأنه بابي.

عندما أيقن المجتهدون من فشلهم واستحالة قتل السجناء، قرروا الثأر من الصبي روح الله بعد أن لاحظوا خلو قدميه من القيود. فاستدعوا نجّار القرية وأمروه بصنع واحدة لقدميه، مما زاد فيما بعد من عذابه كلما اعتلى ظهر جواده أثناء برد الشتاء القارس. لكن روح الله لم ينطق بكلمة معترضا، ولم تثبط هذه الحادثة اللئيمة من رباطة جأشه أو تكسر روحه ومعنويته أو توهن من محاولاته المستمرة في تبليغ أمر الله للحرس. وعندما بلغت تلك الرحلة القاسية نهايتها، كان عدد من الجنود قد اعتنقوا بسرّية ديانة سجنائهم.

عومل البهائيون في سجن طهران بقسوة بالغة، فربطت أعناق أربعة منهم بعضها لبعض بسلاسل حديدية ثقيلة صعب معها ابقاء رؤوسهم مرفوعة. أما روح الله الصغير فلم يستطع تحمَّل وزنها، وسقط أرضا لثقلها، مما اضطر السجانون الى وضع دعامتين خشبيتين بجانبه لتمكّناه من الجلوس.

ضمَّ السجن قرابة الستين سجيناً من كل الأصناف، فكان هناك القتلة واللصوص وقطاع الطرق وغيرهم، لكن هؤلاء المجرمون لم يكونوا يعاملون بقسوة وعنف كما يعامل البهائيون.

اعتاد أحد السجناء الموسرين شراء غذائه من خارج السجن، وذلك لرداءة ما كان يقدِّمه السجن من وجبات طعام.

وذات يوم، فكّر هذا الرجل بضرورة مساعدة زملائه السجناء البهائيين بعدما علم أنهم لا يملكون مالاً يشترون به شيئاً من الطعام، هذا بالاضافة الى عدم وجود من يود أو يرغب بتقديم يد المساعدة لهم من بقية السجناء أو الحراس، كما أن جراية خبز السجن المخصصة لجميع السجناء كانت تحجب عن البهائيين ليتركوهم يتضورون جوعا. فرقّ قلبه لهم وفكّر بطريقة يتمكن بها من تقديم الطعام لهم.

ذات يوم.. إدعى صاحب القلب الطيب هذا، أن عليه نذراً سبق وأن اتخذه يقضي باطعام جميع السجناء من ماله الخاص، وأنه يشعر بحلول الوقت للوفاء به.

فاشترى كمية كبيرة من الطعام وقدمها لجميع السجناء ووزعها عليهم، الا ان الحرس لم يسمحوا للبهائيين بلمسه، قائلين لهم:

أنتم لستم كالآخرين ولا يحق لكم تناوله.

لكن الرجل أصر على اشتراك الجميع في تناول طعام الوليمة، بحجة فساد وفاء النذر ان ترك أحد السجناء دون طعام.

وفي يوم آخر، وزَّع هذا الرجل المعطاء، ثلاث قطع فضية لكل سجين، ليستطيع البهائيون مع غيرهم شراء غذائهم دون أن ينتبه لرغبته احد.

وَسُمِعَ ذات يوم وهو يقول لأحد أصدقائه:

لم يفهم هؤلاء المجانين، إنني من أجل هذه الزهور - البهائيين - أسقي بقية الأشواك أيضاً.

استلم جناب ورقاء ذات يوم رسالة من قريب له، وكان من الشخصيات المتنفذة في العاصمة طهران، يدعوه فيها لكتابة قصيدة مدح بحق الشاه، قد تكون سبباً في طلب الافراج عنه واطلاق سراحه.

لم يأبه جناب ورقاء للموضوع، وقال معلقا على اقتراح قريبه:

ان قلمي هذا طالما كتب مديحاً وشكرا لله ورسله، فهل ألوثه الآن في مداهنة طاغية؟ أبداً.. وليفعل ما يشاء وأنا جاهز لذلك.

وبدلا من كتابة الالتماس المطلوب، حرر رسالة للشاه، يطلب فيها مواجهته مع رجال الدين لمناقشتهم في معتقداته بحضوره شخصياً، وخطط لتسليمها الى حاجب الدولة – وهو أحد رجال الشاه المتنفذين – عندما يأتي في احدى زياراته الى داخل السجن.

ذات يوم.. حضر هذا الموظف الفاسد الى السجن، وكان يأمل بالحصول على رشوة كبيرة من جناب ورقاء ان هو ساعده في اطلاق سراحه. ولمّا لم يجد رداً أو استجابة لرغباته، وفقد الأمل تماماً في الحصول على مال منه، رفع عصا غليظة كانت بيده وضرب بها على رأس جناب ورقاء ثم تركه وانصرف غاضباً.

بقيت تلك الرغبة الشريرة في الانتقام من جناب ورقاء تغلي في صدر ذلك الموظف اللئيم. فعاد ذات يوم للقاء جناب ورقاء، وليقترف جريمة يخجل منها أعتى المجرمين!

هنا يروي لنا ميرزا حسين، رفيق سلاسل جناب ورقاء وولده روح الله، القصة كاملة كما شاهدها، ويختصر أحداثها كالآتي:

ذات ليلة.. وبعدما سقط الصبي روح الله نائماً تحت وطأة ثقل سلاسله، رأيت والده يدنو منه ليقبل وجهه، ويقول بصوت منخفض:

يا الهي.. هل تقبله قرباناً في سبيلك؟

في الحقيقة، عندما وصلت تلك الكلمات الرقيقة مسامعي، مسّت أعماق فؤادي وحركت جميع عواطفي. فجلست يقظاً أبكي طوال الليل لسماعي هذه المشاعر الرقيقة الرائعة. وفي الصباح، حاولت محاورة جناب ورقاء وتغيير أفكاره قدر استطاعتي. ومما قلته له:

أنني سمعت ذات يوم أحد كبار المبلغين البهائيين وهو يقول:

انه لو علم بخطر يهدد حياته، فسيهرب منه مبتعدا قدر المستطاع، لأن الله قد خلقنا لسبب ولغاية حكيمة، وعلينا البقاء على قيد الحياة في هذا العالم لاتمام هذا الواجب وخدمة الانسانية.

رفع جناب ورقاء نظره نحوي وأجابني، بأن هذا صحيح في مفهوم الأسباب. أما في عالم الأرواح، فعلى كل منا اختيار طريقه الخاص.

بعد فترة.. دخل حاجب الدولة السجن والشرر يتطاير من عينيه يرافقه عدد من الجلادين الأشداء بكامل عدتهم وهم يرتدون ملابسهم الحمراء، وعلى الفور أصدر أوامره لمرافقيه بتقييد جميع السجناء داخل زنزانتهم واغلاق أبوابها عليهم. فساد المكان صمت تام وجوٌّ من الرعب والخوف، فلا أحد من السجناء أو الحرس كان يعلم بما يدور في ذهن هذا الظالم الشرير.

مرت بضع دقائق، وإذا بأحد الجلادين يتقدم باتجاهنا وعلامات الغضب بادية عليه، وقال:

انهضوا وتعالوا معي، أنتم مطلوبون للمحاكمة.

ورغم أننا لم نصدق قوله ولم نستوعب مغزى كلاماته، الا انه لم يكن أمامنا الا النهوض والسير خلفه. وعندما مددنا أيدينا لارتداء عباءاتنا، قال بصوت آمر:

لا حاجة لكم بها.

لكن روح الله، أصر بشدة على ارتداء عبائته.

عندما وصلنا الى باحة السجن، استغربنا من كثرة أعداد الجنود والحرس المسلحين المنتشرين في كل مكان، وتساءلنا فيما بيننا، بعد مشاهدتنا الجلادين وهم يقفون في صف واحد، إن كان قد تقرر اعدامنا رمياً بالرصاص!؟ أما حاجب الدولة الشرير، فلقد رأيناه وهو يقف وسط الحشد يرمق الجميع ويوزع عليهم نظراته الشيطانية المرعبة. كان المكان يلفه صمتاً رهيباً ولم يتجرأ أحد الموجودين بإحداث أدنى صوت أو أقل حركة لتعكيره.

وقفنا في بقعة صغيرة قرب الحائط، ننتظر فهم ما يجري وما يخبأه القدر لنا.

فجأة دوى صوت ذلك الشيطان عالياً، وهو يأمر أحد السجانين بالتقدم نحونا وفتح قيودنا وارسالنا زوجاً بعد آخر تباعا اليه.

فتقدم السجان نحونا بخطى مهتزة يحاول فك قيودنا، إلا انه لم يستطع تنفيذ الأمر لشدة خوفه وارتجاف يديه، فما كان من زميل له إلا التقدم نيابة عنه لتنفيذ المهمة، ويداه ترتجفان مثل رفيقه.

كان أول المتقدمين لمقابلة ذلك المجرم العتل، جناب ورقاء وولده المحبوب. توجها نحو باب يمتد خلفه ممر طويل يؤدي الى بناء آخر. بينما أمروني ورفيقي بالوقوف وانتظار دورنا.

بعدما غاب جناب ورقاء وولده عن نظرنا، بقيت أنا ورفيقي نجهد أنفسنا في محاولة لسماع ما يصلنا من كلمات غير واضحة من ناحية الباب الأخرى، الا انه استحال علينا فهم الكلمات ومعرفة ما يدور هناك بالضبط.

كان الوقت يمضي بصعوبة رهيبة، ومطرقة القلق لا تنفك تطرق عقولنا. واذا بأحد الجلادين يخرج مسرعاً طالباً أداة الفلقة، فاعتقدنا انها ستستعمل لضرب قدمي جناب ورقاء. وقلت لصاحبي:

أنا أخاف من التعذيب، لَيْتَهُمْ يقطعون رقبتي أو يطلقون عليَّ النار وينهون حياتي بسرعة.

بعد قليل، فُتح الباب، واذا بسجان يخرج متوجهاً نحو بركة الماء الموجودة في باحة السجن، وهو يحمل خنجراً بيديه ملطخا بالدماء ليغسله، وفي نفس الوقت ظهر جلاد آخر، وهو يجمع ملابس ورقاء تحت أبطه مضرجة بالدماء.

وهنا أصابنا الهياج والاضطراب العظيم، فلم نصدق ما يجري، وكانت عقولنا ترفض تصديق ما تشاهده عيوننا. وبينما نحن على هذه الحالة المضطربة، خرج أحدهم ينادي بأسمائنا ويطلبنا للدخول، فتقدمنا ونحن نسمع أصوات غريبة وكلاماً سريعاً غير مفهوم لحظة وصولنا عند الباب، لكننا لم نستخلص شيئا.

اقتربنا من الباب، وبينما نحن على وشك الدخول، عاد الحرس ليأمرونا بالتوقف في مكاننا ثم ليغلقوا الباب في وجوهنا. وبما أننا أصبحنا قريبين من موقع الحدث، وصل سمعنا صوت حاجب الدولة وهو يصيح آمراً:

دعهم ينتظرون حتى الغد.

بعدها.. رأيناه يخرج مسرعاً وهو في حالة من القلق الشديد والارتباك التام، تاركاً خنجره في يد السجان، بينما كان الغمد يتدلى فارغاً من حزامه.

عند أعادتنا الى زنزانتنا، وجدنا الحرس قد سرقوا كل حاجياتنا حتى الحصير الذي نجلس عليه، ولم يتركوا لنا سوى أرض رطبة ملطخة بالطين والأوساخ. وبقينا نتساءل بقلق عما حدث خلف باب ذلك البناء؟! فلو قتل ورقاء؟! فماذا حصل للصبي؟ كانت صدمتنا شديدة وقلقنا عظيم على حياة روح الله، ولم نستطع الكلام، وجلسنا صامتين تلفنا الصدمة من وقت الظهر حتى منتصف الليل.

ورويداً رويداً.. بدأ الحرس يتجمعون حولنا ويضحكون ويتغامزون ويحدد كل واحد منهم حصته من ملابسنا وما سيأخذه غداً بعد اعدامنا.

وكان بينهم من سبق وأظهر تجاهنا بعض العطف وقدَّم لنا بعض المساعدة. فأمسكت به متوسلا أن يخبرني ما حصل لورقاء ولولده بالضبط، وجعلته يقسم بأرواح شهداء الاسلام المقدسين على قول الحقيقة كما هي. وهذا ما قاله وأخبرني به بالضبط:

عندما خاطب حاجب الدولة جناب ورقاء، وهو يقف أمامه، قال ساخراً مهدداً:

من أقتل منكما أولاً، أنت أم ولدك؟

أجابه ورقاء ببساطة:

لا فرق عندي.

فأغضب هذا الجواب حاجب الدولة، وسحب خنجره من غمده وغرزه بقوة في قلب ورقاء، وهو يقول:

أخبرني ما هو شعورك الآن؟

أجابه ورقاء قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ويسقط على الأرض مضرجاً بدمائه:

الحمد لله، أشعر انني أفضل منك بكثير.

بعدها، التفت حاجب الدولة نحو الجلادين، وأمر أربعة منهم بتقطيع جسد ورقاء والتمثيل به. فكان منظر هذه العملية وكل تلك الدماء شيئاً مرعباً.

أما روح الله، فبعدما شاهد ما حدث لوالده وما يجري من تمثيل وتقطيع لجسده أمام عينيه، راح يصرخ ويصيح وهويردد:

خذني معك يا والدي.. يا والدي خذني معك..

فاقترب منه حاجب الدولة، وقال له:
لا تبك ولا تحزن، سآخذك معي وأخصص لك راتباً كبيراً وأطلب لك وظيفة محترمة من الشاه.
فأجابه الصبي:
لا أريد راتباً منك ولا مركزاً من الشاه، أريد اللحاق بوالدي فقط.
ومع تكرار الصبي وإلحاحه الشديد للحاق بوالده، لم يجد حاجب الدولة إلا تنفيذ رغبته، فطلب من الحرس حبلاً، ولما لم نجد في المكان طلبه، أمرنا باحضار أداة الفلقة، فأخذها ولفَّ حبلها حول عنق الصبي وأمر اثنين من الحرس أن يمسكا بطرفيها يشدّانه، بينما كان الصبي واقفا يتأرجح بينهما ويتقافز وهو يحاول التنفس بصعوبة. وبعد مضي بعض الوقت، سكن جسد الولد وهدأ، فتركوه ممدداً على الأرض.
لم يكتف حاجب الدولة بهذه الجريمة النكراء، فالتفت يأمر من حوله من الجلادين بجلب الاثنين الآخرين.
لكن أمرا عجيباً حدث في تلك الأثناء، إذ انتفض جسد الصبي روح الله الممد في مكانه بشدة وارتفع عن الأرض لمسافة وسقط على بعد عدة أقدام من مكانه.. ثم عاد وانتفض مرة أخرى.. فهزَّ هذا المنظر العجيب أعصاب حاجب الدولة ومنعه من ارتكاب مزيد من القتل، ثم قرر ترك المكان بسرعة.
والآن.. يمكنكم تصور شعوري وإحساسي بعد سماعي تفاصيل عملية شهادة جناب ورقاء وولده المحبوب روح الله، فأنا لم أستطع نسيانها أبداً، وأشعر كما لو أني أراها الآن أمام عيوني.
بقيت أبكي وأنحب طوال تلك الليلة المشؤومة لفراق أصدقائي المؤمنين الأعزاء.
وعند الفجر.. غلبني النوم. فرأيت في منامي روح الله قادماً بفرح عظيم، وخاطبني قائلا:
هل رأيت كيف تحقق وعد حضرة عبدالبهاء؟
صحوت لحظتها من النوم وأنا أحاول تذكر تلك القصة التي أخبرني بها روح الله ونحن نرزح تحت أثقال سلاسلنا وقيودنا قبل استشهاده مع والده.
في الحقيقة.. كنت قد نسيت تلك الحكاية اللطيفة، فغالبا ما كان يخبرني بفرح بالغ عن أحداث زيارته للأرض الأقدس، وكيف ربَّتَ حضرة المولى على كتفه مودعاً، وهو يقول:
لو شاء الله... فسينشر أمره من خلال روح الله.
ان شهادة روح الله، كانت دائما وسيلة لاعلان عظمة الأمر المبارك، بالرغم من قصر سنين حياته. وما زالت مجموعة من أشعاره الجميلة اضافة الى العديد من أحداث وحكايات حياته الخاصة مسجلة وموثقة من قبل من تعرف عليه شخصياً من البهائيين.

(23)
" شجاعة رجل "

للملا رضا اليزدي حياة مليئة بالقصص والأحداث المثيرة، وهذه إحداها نقلها أحد رفاق سجنه غير البهائيين، قال:
عندما كنت نزيلا في سجن طهران، كان السجناء يقسمون أنفسهم الى مجموعات صغيرة لتناول الطعام معا، واتفق أن اشتركت مع عدد من البهائيين في قصعة واحدة، وكان الملا رضا واحدا من بينهم. أما في المساء، فكان نصيبي في كل ليلة أن أقيد معه في نفس السلاسل.

لم أتعرَّف في حياتي على رجل مثله، كان عالماً حكيماً صبوراً حليماً، ذا ايمان ثابت لا يتزعزع، وشجاعة بلا حدود، أما قوة تحمله للضرب والتعذيب، فكانت معجزة بحد ذاتها. لقد سمعت قصصاً وحكايات عجيبة وغريبة عن شجاعته وثباته وهو بين أيدي أعدائه وهم يذيقونه أقسى أنواع التعذيب.

ذات مرة.. عندما كان طليقا خارج السجن، حكم عليه رجال الدين في يزد، بضرب أقدامه بالفلقة سبع مرات في سبعة أماكن مختلفة داخل شوارع وساحات المدينة وفي يوم واحد، حتى يشاهد أكبر عدد من الناس عقاب البابيين!

وكلما اختير مكان محدد للجلد، وتوقف الجنود والشرطة لتنفيذ الحكم، انحنى ملا رضا ليفرش منديله بعناية على الأرض ثم يخلع عباءته وعمامته وجوربه ليضعهم عليها، ثم يستلقي على ظهره فوق الأرض ويغطي وجهه بطرف عباءته، رافعاً قدميه عالياً استعداداً لاستقبال ضربات العصي وهو يقول لمعذبيه:

يا سادة، يمكنكم البدء الآن.

طالما أغاظ هدوءه العجيب نفوس جلاديه، فيبدأون بانزال عصيّهم وخيزراناتهم على أقدامه العارية أمواجاً متتالية وبكل ما لديهم من قوة آملين سماع صرخات ألمه وتوجعه أو طلب الرحمة منهم ورجائهم بالتوقف. لكن هيهات هيهات، فلم تظهر منه أية علامة تدل على ألمه، أو يسمع منه أي صوت للرجاء قط!

ذات مرة.. ضرب الملا رضا بشدة عجيبة، وبقي الجلادون يتناوبون على ضربه وسط حشد من الناس وقفوا لمراقبته، وحدث أنه بقي لفترة ساكنا لا يبدي أي حركة أو يصدر أي صوت، وبما أنه كان يغطي وجهه بطرف عبائته، ظنَّ الحرس والمشاهدون أنه قد مات من كثرة الضرب. وكم كانت دهشة الجميع عظيمة حينما كشف الغطاء عن وجهه، ووجدوه منشغلاً بتنظيف أسنانه!

فلا عجب اذن أن يشك الناس أنه بشر غير عادي.

مضت سنين طويلة، وأصبح الملا رضا رجلاً عجوزاً كبير السن، ورغم ذلك بقي يلاقي أنواع التعذيب من مضطهديه.

ذات يوم شاهده أحد رجالات طهران المعروفين وهو موثوق اليدين على عمود في باحة السجن يحيط به الجلادون وعصيّهم تنهال على ظهره العاري كما جرت العادة معه في باحة السجن بتهمة انتمائه الى الديانة البابية. فجذبته رفعة أخلاقه وسكونه اللذين قابل بهما وحشية الجلادين وعنجهيتهم، فتحركت في قلب الرجل رغبة للتحري عن سر هذه الديانة الجديدة التي يقاسي من أجلها هذا الشيخ الجليل كل هذا العذاب. وبعد فترة قليلة آمن الرجل بالأمر المبارك الجديد.

وذات يوم سمع هذا الرجل وهو يشرح سبب ايمانه:

ان ما جذبني للأمر المبارك، هي تصرفات الملا رضا الهادئة تحت وطأة التعذيب والضرب، لقد كانت أفصح بكثير من أي نقاش.

وفي احدى دورات التعذيب، إمتلأ ظهر الملا رضا بجروح رهيبة بعد كل ذلك الجلد القاسي. ومع ذلك، عندما جاء أحد الأحباء السجناء ليواسيه ويظهر له بعض العطف والمحبة، اعترضه الملا رضا قائلاً:

ماذا تعتقد أنت عندما تسمعني مثل هذا الكلام اللطيف؟ عليك أن تثق أنني في الوقت الذي كان السجانون ينزلون على جسدي كل تلك السياط والعصي، أكون جالساً متنعماً في محضر حضرة بهاءالله، في أعلى العوالم الروحانية، ولا أشعر بأي شيء مما يفعلونه قط!

بعد مقتل ناصر الدين شاه على يد أحد أتباع جمال الدين الأفغاني، حدث هياج عام بين الناس في مختلف مقاطعات ايران، ولم يستطع أحد التنبؤ بما سيحدث للبهائيين خلال تلك الأيام الخطرة، فلقد ظنّ غالبية الشعب أن من قام بعملية الاغتيال

هم البهائيون رداً على ما يلاقونه من تعذيب وقتل. لذلك.. اغتنم بعض الأعداء هذه الفرصة السانحة ليتهموهم بارتكاب الحادثة دون أدلة، ولينشروا الافتراءات والأكاذيب ضدهم في كل مكان.

صادف أن كان الملا رضا في تلك الأيام المضطربة، حراً طليقاً خارج السجن، وحدث أنه كان ذات يوم ضمن مجموعة من المصلين داخل أحد المساجد، وعندما تحول الخطيب في كلامه نحو البابيين وراح يكيل لهم السباب والتهم في جريمة قتل الشاه. لم يجد الملا رضا بداً إلا النهوض بين جموع المصلين ليقاطع الخطيب قبل أن ينجح في اثارة غضبهم ضد أتباع الديانة الجديدة ويبدأوا بالاغارة على بيوتهم وعوائلهم وتعذيبهم وقتلهم، وصرخ بصوت سمعه كل الموجودين دون أخذ سلامته الشخصية في الاعتبار:

اصمت أيها الرجل! ليس للبابيين أية علاقة بهذا الحادث الاجرامي، ولن يفعلوا شيئاً كهذا أبداً.

ارتفعت الرؤوس والعيون لتحملق باستغراب نحو هذا المتكلم الشجاع، وسأله أحدهم القريبين منه:

من المؤكد إنك لست واحداً منهم؟ فلماذا تدافع عنهم؟

أجاب الملا رضا معلنا أمام الجميع بشجاعة نادرة:

بالطبع أنا واحدا منهم!

وعلى الفور حدث هياج داخل المسجد وقام الكثير منهم ليلقون القبض عليه ويوسعونه ضرباً وركلاً وليرسلوه مخفوراً الى العاصمة طهران.

بعدما شاهد الضابط المحقق هذا الشيخ العجوز يقف أمامه، رقّ قلبه اليه، وقال:

إن هذا العجوز ليس بابياً، فدعوه يذهب الى حال سبيله.

أجابه الملا رضا الذي لم يشتهر بغير صفة البابية:

عفواً سيدي.. سيادتكم على خطأ، أنا لست بابياً فقط، بل بهائي أيضاً، وفي الحقيقة سجنت عدة مرات لهذا السبب، واذا رغبت فهناك العديد من الأشخاص الذين يشهدون على صحة أقوالي.

صرخ الضابط باستغراب:

ماذا تقول..!؟ هل ترغب في العودة الى السجن ثانية؟

رد الملا رضا بهدوئه المعتاد:

إن كان ما نطقت به هو الحكم، فسأوافقك عليه بالتأكيد!

وقال أحد البهائيين معلقا على تلك الحادثة:

كانت هذه هي الطريقة التي انضم فيها الملا رضا الينا الى داخل سجن طهران مرة أخرى.

وفي الحقيقة.. لم تكن هناك قوة في الأرض تثني عزم واصرار الملا رضا عن تبليغ أمر الدين الجديد. فلقد بلّغَ أفراداً كثيرون وهو يرزح تحت أقسى أنواع الظروف، ومهما كانت أنواع الأخطار التي تحيط بحياته، فلم يكن هذا يعني له شيئ على الاطلاق.

كنا نتعرض من بقية السجناء والحراس لشتى أنواع الشتائم والمسبات تجاه ديننا ومعتقدنا وأعراضنا، وكلما فقدت صبري معهم، كنت أسمع الملا رضا وهو يقول لي:

هذا هو رد فعل الناس الطبيعي تجاه تعاليم رسل الله وأنبيائه دائما وفي أي زمان ومكان.

بعد أن قضينا ستة عشر شهراً داخل ذلك السجن الرهيب، أطلق سراحنا نتيجة مناشدة نسائنا للملك الجديد بعد اعتلائه العرش. كانت أقدامنا عاجزة عن حمل

أجسادنا العليلة من قلّة طعـام السـجن وفسـاد هوائه وظروفه القاسـية. فاقتادونا الى بيت أحد الضباط لأزالة قيودنا هناك، ومن ثم السماح لنا بالعودة الى منازلنا وعوائلنا.

حدث أن وصل رجل دين بالصدفة لزيـارة ذلك الضـابط في بيته قبل مغادرتنا لـه، وعنــدما علم بقضــيتنا، أظهــرَ رغبته في لقائنا والحــديث معنــا. فأدركنا خطر هــذه المصادفة، لذلك لم يكن أمامنا إلا الاعتذار عن اللقاء متعللين بضـعف أجسـامنا وعـدم استطاعتنا التحدث اليه.

لكن هذا العذر لم يعجب الملا رضا، فنهض من مكانه تاركا قيوده التي نــزعت من قدميه قبل قليل وأبــدى رغبته بلقــاء رجل الــدين وحيــداً، وهو ينظر الينا باســتغراب ويقول:

لا يمكننا رفض الكلام أو الحديث معه.

ولم يعر أي اهتمام لتضرعنا وتوسلاتنا له بالبقاء وترك الرجل لحاله.

لم يدم اللقاء بين الرجلين طويلا، ويبدو ان الملا رضا أنهاه بسرعة. فعنـدما خـرج من غرفة الرجل، كانت ترتسم على وجهه ابتسامة عريضة، وهو يقول:

حكموا باعادتي الى السجن مرة أخرى.

لم تكن هنـاك قـوة لتهـدأ أمـواج بحر أحـزاني، فتقـدمت منه ورجوته بكل قـدرتي واسمعته كل ما خطر على بالي في تلك اللحظات الحزينة من كلمات المحبة والرجـاء لأكون بديلاً عنه في هذه المرة، وذكرته بكـبر سـنه وضـعف حالته الصـحية، فلقد كنت متيقناً من عدم قدرته على تحمل قساوة ذلك السجن الرهيب مرة أخرى.

لكنه لم يستمع لتوسلاتي ولا الى توسلات الآخرين من السجناء المطلق سـراحهم حديثا، وابتعد عنا وهو يمشي كالغضنفر مرفوع الرأس لا يبالي بشيء.

وقبل أن يختفي، التفت الينا ممازحاً وقـال نكتة طريفة لا أتـذكرها الآن، أضـحكتنا جميعاً.

وبهذا غادرنا الملا رضا الى الأبد.. نعم.. الى الأبد.

وفي النهاية.. لم يتبق من ذكرى هـذا المـؤمن المقـدام إلا هـذه القصص الرائعـة، ورحل الملا رضا عن هذا العالم الفاني وهو بين أيدي الجلادين يذيقونه أنواع العذاب.

لكننا كنا جميعاً على ثقة تامة، أنهم لم يتمكنوا من كسر روحه الطاهرة أبدا.

(24)

" حياة الاعتقال مع الملاّ رضا "

استغرب كل من شاهد منظر السجينين وهما منهمكان في تحميم وغسل جسد سجين آخر في احدى الزوايا البعيدة قرب جدار باحة السجن. كان أحدهما منشغل بنقل الماء وسكبه، بينما انهمك الرجل العجوز (الملا رضا) وأكمام قميصه مرفوعة بدلكِ وتنظيف ظهر السجين.

كان منظرهما غريباً أثار استغراب جميع من شاهدهما. وراح الكل يتسائل:

أي نوع من الرجال هؤلاء!؟ ومن أي طينة خلقوا ليعتنوا بمثل هذا اليهودي القذر المنبوذ؟

وحتى السجين اليهودي نفسه، لم يكن يفهم ما يجري بالضبط، وماذا يدفع هذين الرجلين مشاعر ليقوما بغسله وتنظيفه بكل هذه العناية والمحبة. فمنذ اعتقاله، لم يعامله الحراس أو بقية السجناء بغير الاحتقار والتجنُّب، فهم يعتبرونه مخلوقا نجساً غير طاهر، ولم يكن يتجرأ هو حتى على دخول الحمام للاغتسال مع بقية السجناء ومثلهم.

عندما لاحظ الملا رضا شدة قذارة اليهودي، وكيف كان المسكين لا يجد طريقا الى الاغتسال والنظافة. خطرت لديه فكرة تحميم هذا البائس، وقال لصاحبه مقترحاً:

إن مددت لي يد المساعدة، فسنعطي هذا المسكين حماماً جيداً في أقصى باحة السجن.

كان منظر اليهودي جميلاً ملفتا للنظر وهو يسير بين السجناء في باحة السجن نظيفاً مرتدياً ما أعطياه من ملابسهما الاضافية التي كانا محتفظين بها.

وفي حادثة أخرى مشابهة، أثناء احدى فترات سجنه مع مجموعة من البهائيين في طهران. كان من عادة الملاّ رضا الاحتفظ دائماً بقميص اضافي له، يتبادله مع رفيق آخر كلما أراد أحدهما تغيير ملابسه.

ذات يوم.. دخل السجن أحد الشباب بتهمة السرقة، فلاحظ الملا رضا بعد أن زجّ الشاب في زنزانته وقيد الى جانبه، انه كان عاري الجسم تقريبا ولا يرتدي قميصاً مناسباً يستر به جسده.

فسأل الملا رضا صاحبه أن يعطي هذا اللص قميصهما الاضافي الذي يحتفظان به. فوافق صاحبه، الا انه أضاف مقترحاً:

إلبس أنت القميص النظيف وإعطه ما عليك ليرتديه.

عندها أجابه الملا رضا مندهشاً:

كيف تطلب مني ذلك؟ إن عطيتنا للناس، كأنها هبة لذات حضرة بهاءالله، ألا توافقني اعطاءه أفضل ما لدينا لحضرته؟

(25)
" حفاوة استقبال "

وقف سجين عجوز مرحباً بدخول مجموعة من البهائيين الى سجن طهران، قائلا:

مرحباً.. مرحباً بك ياحاج أمين.. كيف حالك؟

حدَّق القادم الجديد بالرجل، وتذكَّر ذلك اللص الذي سجن معه سابقاً هنا في نفس المكان. فرد عليه:

مرحباً بك يا صديقي القديم.. أما زلت هنا؟

أجابه العجوز:

نعم.. فمنذ سبعة عشر عاماً وأنا هنا.. لكن المكان بدونكم أيها البهائيون أمر لا يحتمل.. لقد سعدت جداً بسماع نبأ عودتك معنا.

في هذه الأثناء، تجمَّعَ عدد آخر من السجناء حول القادم الجديد، وسأله أحدهم:

كيف حال ابن أبهر.. وأين هو الآن؟ لقد سجن معنا سابقاً لأربع سنوات، وكان مثل والدنا جميعاً، لقد أصبحنا أيتاماً منذ رحيله.

عاد العجوز ليقول:

إن ابن أبهر مثل جميع البهائيين. فلقد رأيت العديد منهم يدخلون السجن ويخرجون منه لسنين طويلة وأنا جالس هنا. انهم يجلبون البركة والخير معهم لهذا المكان. ياليتهم يباركون هذا السجن بحضورهم دائماً دون انقطاع!

كان هذا استقبالاً بسيطاً ومؤثراً من قبل أحد الذين لا يملكون صديقاً لهم في هذا العالم.

(26)
" إحيــاء روحاني "

جلس سيّد محمد في غرفته وحيداً تتلاقفه أفكار عميقة. لقد سمع بعضهم يقول ان صديقه عندليب قد أصبح بابياً. ورغم عدم تصديقه لهذه الاشاعة، إلا انه قلق كثيراً. وراح يتساءل:

كيف تمكَّن البابيون من خداع شاب ذكي متعلم كعندليب؟ وماذا وجد هو فيهم وبينهم حتى إنجذب الى أعداء الاسلام وأعداء الله هؤلاء؟

لكنه بعد انتشار هذه الشائعة، وبعدما راح يسمعها من القاصي والداني، أدرك انه لا أحد غير صديقه عندليب، يمكنه وقف انتشارها وانكارها وشجب هذا الدين الجديد علناً أمام الجميع، حتى يعلم الكل انه لم يزل على دين الاسلام الحنيف.

انتظر سيد محمد حلول المساء، فرمى بعباءته على كتفه وخرج من بيته سالكاً طريقه بهدوء نحو بيت صديقه عندليب. وخلال الطريق كان ما يزال يفكر في كيفية مفاتحته بالموضوع ومن أين يبدأ.

وعندما جلساً معاً واستقر بهما الحال، قال لصاحبه:

أريد التأكد من عدم مقاطعة أي شخص لحديثنا، فلديَّ موضوع مهم أريد مناقشتك به.

نهض عندليب وخرج من الغرفة متوجها نحو والدته العجوز الجالسة خارجها، وانحنى ليهمس باذنها بضع كلمات، فهزت رأسها بالموافقة، ثم عاد ليغلق باب حجرته خلفه ويجلس على فرشة صغيرة أمام صديقه منتظرا منه سماع ما جاء يقوله.

كان بين الصديقين بعض الصفات القوية الحميمة المشتركة، فهما من المطلعين بشكل جيد على آيات ومعاني سور القرآن الكريم وعلى دراية كبيرة بالأحاديث الشريفة لسيدنا محمد(ص) وكذلك على كتابات العديد من كبار الفلاسفة، هذا بالاضافة الى قوة قلم عندليب وبراعته، فهو شاعر معروف بين أقرانه أيضا.

أما سيد محمد، فهو رجل علم ما زال مواظبا على دراسته ليصبح من علماء الدين.

كان السيد محمد جالسا ينظر الى الأرض أمامه وأصابعه تعبث بأطراف السجادة في محاولة منه لايجاد مدخل للبدء في الكلام.

وبعدما شعر بعودة عندليب واستقراره أمامه، رفع رأسه ثم بصره نحوه وقال يخاطب صديقه بصوت حاد:

هل تعلم ما سمعت هذا اليوم؟

سأله عندليب وهو يتوقع ما سيقوله:

ماذا سمعت؟

عاد سيد محمد ليواجه صعوبة في الحديث ومناقشة أفكار ديانة طالما احتقرها وأنكرها، لكنه حزم أمره وقال كمن يرمي عن ظهره ثقلاً كبيراً:

سمعت أنك أصبحت بابياً!

ساد المكان صمت عميق استمر لبعض الوقت، حتى أجابه عندليب:

حسناً.. لنفترض أن ما سمعته صحيحاً و...

فصرخ صاحبه في وجهه مقاطعاً:

ماذا تقول؟ هل جننت؟ أتنوي خسارة الدنيا والآخرة بانضمامك الى جماعة الكفرة!؟

قال عندليب:

سأقول لك الحقيقة، لأنني لا أملك غيرك صديقاً مخلصاً في هذه البلدة، ولا يمكنني إلا أن أكون صادقاً نزيهاً معك. في الحقيقة أن ما سمعته كان صحيحاً! لكن قبل أن تصدر حكمك في هذا الموضوع، عليك أن تعدني بالاستماع لي حتى أنهي كلامي، فاذا وجدتني قد ظللت طريق الحق والصواب، فواجبك يقضي عليك

بمساعدتي في الرجوع اليه. وان أقنعتك بحقيقة ما أؤمن به، فعليك بقبولها. إذا وافقت على هذا العرض، فعدني بكلمة شرف على الوفاء به.

وجد السيد محمد في هذا الكلام شيء من العقلانية والمنطق السليم، فوافق على هذه الشروط، وكله قناعة بانقاذ صديقه مما هو فيه من الضلالة والكفر.

حدث ذلك اللقاء الثنائي بين الصديقين في شهر رمضان. واستمر لقاؤهما بعدها لعدة شهور وباستمرار منظم. ففي كل مساء، وبعد حلول الظلام، يذهب سيد محمد الى بيت عندليب متخفّياً عن العيون، ويبقى هناك للبحث والنقاش حتى ينبلج نور الفجر.

كان عندليب يصغي لصاحبه ويناقشه بصبر وطول بال، ويحاول توضيح ما يطرحه ويقدمه من مسائل غامضة ومواضيع مهمة بغاية الهدوء والروية.

لكن سيد محمد لم يقتنع ولم يصل الى قرار، رغم اهتزاز ثقته بمعلوماته وأفكاره.

وعندما انتبه لما هو فيه من تذبذب في أفكاره، قال في نفسه: لا عجب أن يحذر الناس بعضهم البعض من عدم مخالطة البابيين، فان لهم مقدرة عجيبة على الاقناع وتقديم الحجج والبارهين على صحة أفكارهم. فحتى لو لم يؤمن المستمع بأفكارهم، فلابد وأن يبتعد عنهم وهو مشوش الأفكار بما يقدموه.

بعد انتهاء اللقاء وخروج سيد محمد من بيت صاحبه، قرر في نفسه الانقطاع والابتعاد عن لقائه خوفاً على نفسه من الانجراف معه. لكنه عجز عن ابعاد ما بقي يراوده من أفكاره جانباً. فشرع يبحث لوحده بين صفحات الكتب عن اجابات شافية ومعقولة. وعندما فشل ووجد نفسه عاجزاً. لم يجد أمامه سوى اللجوء الى الله للخلاص من حيرته. فاعتزل الناس لوحده بعيداً عن الأماكن المسكونة، متعبداً صائماً مصلياً. وحينما لاحظه الناس على هذه الحال، اعتقدوه عاشقاً، بينما نسب آخرون حالته الى كثرة القراءة والدرس، ولم يعلم أحد بالسبب الحقيقي وسر زياراته السابقة لصاحبه.

وفي محاولة أخرى منه لنسيان عندليب ونقاشاته تماماً، تعرف على مجموعة من الشباب وصادقهم وراح يمضي معهم أوقات الفراغ في الرحلات الى الأرياف للتسلية والمرح.

وذات مساء.. وبينما كانت مجموعة الشباب وهو معهم في طريق عودتهم من احدى رحلاتهم خارج المدينة، تخلّف سيد محمد عن أصحابه، وبقي يسير وحيداً تتلاطمه أمواج بحر أفكاره التي عجز عن التخلص منها، رغم حياة المرح والشباب التي كان يعيشها. وإذا به يرى صديقه القديم عندليب وهو يقف فجأة أمامه وجها لوجه. وكان قد انقضى شهران على آخر لقاء بينهما.

سأله عندليب:

ماذا حدث لوعدك يا سيد محمد؟ ألم نتفق على الاستمرار في النقاش حتى يقنع أحدنا الآخر بأحقية رأيه؟ لو توفيت أنت هذه الليلة، ودخلت محضر الله، وسألك عن حقيقة هذا الأمر، فماذا ستجيب؟ هل تستطيع الإدعاء إنك استقصيت عنه ووجدته باطلاً؟ أم ستقول ان الحقيقة أخافتك فوليت جزعاً هارباً؟

إهتز من الأعماق سيد محمد لهذا الخطاب، وأيقن عدم امكانية خداع نفسه أكثر من ذلك، وإن روحه لن تهدأ حتى يجد حلاً لهذه المسألة. فترك صاحبه وهو مرتبك يسرع بالعودة الى غرفته، وليغلق بابها عليه مرة ثانية. وعاد الى بحثه ودراسته واستمر على هذه الحال مدة طويلة.

مضت عدة شهور عليه وهو غارق بين صفحات الكتب، يقلّب هذا ويفتح ذاك، ويقرأ من هنا ويستنسخ من هناك، حتى خرج بعدها متسلحاً بمعلومات جديدة. فتوجه

من فوره الى بيت صديقه القديم عندليب، ليطرق باب بيته ويدخل عنده، ثم ليعودا الى نقاش الليالي الماضية سجالاً بينهما.

مرّت الشهور ثقيلة على نفس سيد محمد، وها هي تنقضي سنة كاملة على أول لقاء كان بينهما، عندما جاء الى منزل صديقه يحذره من الاشاعة التي انتشرت ضده، وها هما الآن يجلسان معا في الغرفة ذاتها.

لكن شتان ما بين اللقاءين. فتلك الليلة كان كلاهما واثق من امكانية اقناع صاحبه. أما الآن فقد رجحت كفة عندليب.

بعد نفاذ صبر عندليب وبعد كل ما قدمه لصديقة من براهين واثباتات وأدلة فكرية ونقلية دامغة، قال لصاحبه:

يا صديقي العزيز.. لقد تعبنا من المناقشة والحوار، وفقدت الأمل في اقناعك، فاذهب في سبيلك ودعني لسبيلي. يبدو انك لن تقتنع أبداً.

أطرق سيد محمد برأسه برهة ينظر الى الأرض أمامه، ثم رفع نظره الى صاحبه وعلى وجهه ابتسامة خفيفة وعين مغرورقة بالدموع يملؤها العتاب، ثم قال لصديقه:

أمن الضروري ترجمة إيماني ويقيني الى كلمات أمامك!؟

(27)

" سبل التبليغ "

طلب حضرة عبدالبهاء ذات يوم، من أحد البهائيين الثابتين، وكان اسمه "أسد الله قمّي"، السفر الى مقاطعة (قره باغ) في بلاد القوقاس لتبليغ الأمر المبارك الى أهلها. وشدد عليه بعدم العودة دون نجاحه في تبليغ بعض أهلها، ولو بايمان فرد واحد على الأقل. حيث لم يكن قد آمن من أهلها أحد حتى ذلك الحين.

وعلى الفور استعد الرجل وجمع حاجياته وسافر الى تلك البلاد البعيدة وراح يجوب البلاد طولاً وعرضاً، ويتنقل من قرية الى قرية ومن مدينة الى أخرى، لكنه لم يجد من يستطيع الكلام معه وتبليغه الأمر المبارك. فأهالي "قره باغ" لم يكونوا من المؤمنين بالخرافات والقصص الخرافية فقط، بل جاهلين حتى بأبسط مبادئ دينهم الأساسية، هذا بالاضافة الى تعاملهم السريع مع كل من يزعجهم، بما يحملونه من خناجر وسكاكين بكل سهولة.

شعر "أسد الله" بعد انقضاء عدة شهور وهو يجول في تلك الأنحاء بالفشل وخيبة الأمل. وفقد الأمل بالعثور على اذن صاغية في هذه المقاطعة، فقرر على مضض والحزن يعصر قلبه العودة الى دياره ومغادرة المكان.

بعد اتخاذه هذا القرار.. جلس تحت ظل شجرة عالية قرب جدول ماء، وبسط منديله أمامه، ووضع عليه ما اشتراه من خبز وجبن وعنب، ليتناول آخر وجبة غذاء له في (قره باغ) قبل أن يتركها ويعود أدراجه خائبا. كان عقله مشغولاً بفشل مهمته وصعوبة نقل الخبر الى مولاه، متذكراً أمره الواضح بعدم العودة وترك هذا المكان قبل إيمان فرد واحد منهم على الأقل، وشمله شعور بالحزن والأسى، فإذا بقطرات الدمع تنحدر من عينيه منسدلة على وجنتيه لتبلل لحيته وتكمل طريقها ساقطة على حجره.

كان الوقت وقت الظهيرة.. ولخلو المكان من المارة وعابري السبيل، أخذ سيد أسد الله حريته في البكاء وأطلق لنفسه العنان في النحيب، ولم ينتبه لصاحب المحل الموجود عبر الشارع وهو ينظر اليه باهتمام واستغراب، وقد مسَّ شغاف قلبه منظر حالته وحزنه، ولا الى اقترابه وتقدمه نحوه ليستفهم منه سبب حزنه وبكائه.

كان سؤالاً غريباً من شخص غريب:

لم هذا البكاء يا رجل؟

فلم يزد هذا السؤال "أسد الله"، سوى مزيدا من البكاء والنحيب ومزيدا من الصمت.

إزداد تأثر "مشهدي عبدل"، صاحب المحل بحالة الرجل الناحب، وراح يتوسل اليه أن يثق به ويفضي له ما في قلبه، ووعده بعمل كل ما في وسعه للتخفيف عنه وحل مشكلته.

رفع "أسد الله" رأسه والدموع ما زالت تقطر من عينيه، وقال للجالس أمامه:

ليس من اليسير عليك إزالة كربتي، ولا أجد من يستطيع حل مشكلتي.

أجابه مشهدي:

أنا رجل صاحب كلمة، وأعدك بأن أفعل كل ما أستطيعه لمساعدتك. هل تحتاج مالاً؟ أم ترى قد استحق عليك دين؟ أم لك أعداء؟ ثق بي ولا تخف.

تشجَّع أسد الله لهذه البداية، يدفعه صدق نيّة الرجل، وقال:

إن هذا المكان ليس مكاناً مناسباً لما أود قوله.

فاقترح الرجل على الفور بيته مكاناً للقاء. فوافقه الرجل الباكي ونهض للذهاب معه. وهناك فهم سبب حزن محدثه، وإطلع بهدوء على الأمر الجديد.

كان مشهدي عبدل، رجل نقي القلب وذا ثقافة لا بأس بها، لذلك لم يجد صعوبة كبيرة في قبول الحقيقة. فقرر على الفور وهو ما يزال جالس بصحبه رفيقه، الخروج وإعلانها فوراً للناس كافة.

وعبثاً حاول أسد الله تحذيره من عواقب عمل محفوف بالمخاطر كهذا، ونصحه بضرورة التريث للبحث عن نفوس نقية مستعدة للايمان.

أجابه مشهدي عبدل:

أنا أعلم منك بأبناء بلدتي، انهم أناس بسطاء طيبون، لن يحجبهم عن الحقيقة شيء، ولا شك ان نبأ ظهور الموعود سيسعدهم ويفرح قلوبهم.

وبسبب قرب موعد مغادرته "قره باغ"، وفقدانه أمل اقناع صاحبه بالعدول عن فكرته في تبليغ الناس، وعدم إصغاء صاحبه لتحذيراته من خطورة ما عزم عليه. طلب أسد الله من صاحبه، تأخير موعد الاعلان بضعة أيام، ليتسنى له تعليمه خلالها بعضاً من مبادئ الامر الجديد وشيء من تاريخه على الأقل.

كلما زاد أسد الله في توضيح مبادئ الأمر المبارك وأوامره وأحكامه لصاحبه، كلما ازدادت رغبة مشهدي عبدل في إعلان الامر علناً وبسرعة كبيرة لأهل مدينته.

وأخيرا فاض به الكيل ولم يعد يطيق صبرا على الانتظار أكثر من ذلك. فقرر في نفسه وهو ما يزال ينصت لكلام محدثه، أن يعلن ما عرفه للناس غدا بالتحديد مغتنما فرصة كونه يوم التسوق الاسبوعي لأهل المدينة والقرى المجاورة لها، وحضورهم للتسوق بعدما يشكلون حلقة كبيرة لبيع وشراء حاجياتهم الاسبوعية. فقال يخاطب صاحبه بعزيمة ثابتة:

نعم.. نعم.. غدا هو يوم مناسب جدا، وسأعلن للناس ما عرفته منك عن الأمر الجديد.

في صباح اليوم التالي.. وعند حلول الموعد المحدد، ذهب الرجل الى السوق الاسبوعي، واعتلى منصة عالية وسط ساحة السوق حتى يتمكن جميع الحضور من مشاهدته وسماع صوته. وراح يصيح بهم ويدعوهم للتقرب منه والالتفاف حوله. وبما انه كان شخصاً معروفا لغالبية الحضور، فقد تقدم العديد منهم لسماع ما سيقوله. الا انه بقي ينادي وينادي.. حتى ترك الجميع أعمالهم وتقربوا منه.

إستهل الرجل كلامه قائلا بصوت عال:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد ان محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين وليّ الله. ثم قرأ بعدها قصيدة في مدح الرسول وآل البيت، ثم التفت بعدها الى من حوله بوجه باسم بشوش ليقول:

لقد جئتكم يا أهل مدينتي الطيبين ببشارة عظيمة!! إن صاحب الزمان قد ظهر في مدينة شيراز..!

كان هذا كل ما استطاع مشهدي عبدل قوله، ولم يستطع اكمال خطابه اكثر من ذلك، فقد عاجله احد الحضور بضربة من عصا غليظة كانت بيده، سقط على اثرها مغشياً عليه.

عندما أفاق مشهدي من غيبوبته، راح يتذكر بصعوبة ما حدث له، وتذكّر وهو ما يزال ممددا على الارض تحذيرات صاحبه أسد الله الشديدة من خطورة الموضوع، وبضرورة مراعاة الحكمة في كلامه. فقرر مع نفسه وهو ما يزال متسخا بتراب الأرض، سلوك سبيل حكمة صاحبه، والتفت الى الرجل الجالس بقربه يسأله عما حدث؟ ولماذا هو ملقى هنا وحيدا في هذا المكان الغريب؟

فأخبره صديقه بما سبق وقاله وفعله، وبخطبته داخل السوق.

تظاهر مشهدي عبدل بالنسيان، وأنكر كل ما حدث، وقال:

من المستحيل أن أقول مثل هذا القول؟ كيف تتهمني بارتكاب عمل أحمق كهذا؟

ظنَّ الرجل ان صاحبه قد فقد ذاكرته، أو أنه أصيب بنوبة من الجنون المؤقت في باحة السوق. فلاذ بالصمت ولم يزد على الموضوع شيئاً وقرر مساعدة صاحبه.

ولتخفيف الصدمة عليه ولتوضيح الأمر للناس، جلس الرجل عند عتبة باب دكان مشهدي لعدة أيام، يخبر كل من يمرُّ أمامه، بان صاحب الدكان، لا يتذكر شيئاً عن موضوع خطبته في السوق، وانه لم يكن في كامل وعيه عندما تكلم أمام الناس، ولقد نسي كل ما يتعلق بالحادث.

في نفس الوقت استطاع مشهدي إكتساب بعض الحكمة والخبرة من خلال تجربته القاسية، وحاول اتباع تعليمات صديقه سيد أسد الله في البحث عن نفوس نقية.

لم تمض مدة طويلة.. حتى عثر على أحدهم، ثم آخر.. وهكذا بالتدريج تكونت مجموعة صغيرة من المؤمنين، لم يكن بامكانهم كتم ايمانهم وإخفائه الى الابد، وشيئا فشيئا انتشر بين الناس خبر حقيقة ايمان مشهدي عبدل بالديانة البابية وانشغاله ومجموعته بالدعوة لها سراً.

ذات يوم.. وصلت أخبار حكايته وأصحابه الى مسامع "حسن بك"، وكان هذا رجلاً من شجعان المدينة المشهورين باستعمال خنجرهم في حل أبسط المسائل. لكن حسن بك علم خطئاً، إن هذه الجماعة الجديدة لا تؤمن بالله ورسوله وانهم يذكرون أسماءهم بالسوء. فغضب لذلك غضباً شديداً، ونهض من فوره يبحث عن مشهدي عبدل.

كان الرجل جالساً في دكانه بهدوء عندما وقف حسن بك أمامه فجأة شاهراً خنجره، وهو يزمجر ويتوعد ويقول:

هل صحيح إنك بابي!؟ وأنك لا تحترم الرسول الكريم والأئمة الأطهار؟

أدرك صاحب الدكان المسكين، ان منيته قد حانت دون شك، لكنه تمالك نفسه، وتدبر أمره بحكمة بالغة، ودعى الرجل الغاضب بكلمات لطيفة وبهدوء، للدخول والجلوس وسماع ما لديه.

وكم كان عجبه كبيراً، عندما وجد "حسن بك" يستجيب لدعوته ويتقدم ليدخل المحل ويجلس بقربه ويصغي لكلامه بشوق عظيم، ولم تمض إلا دقائق قليلة حتى هدأت ثورته وراح عنه غضبه بعد اطلاعه على حقيقة الموضوع، وادراك عدم صحة ما

وصل سمعه عن هذه المجموعة الصغيرة، وحقيقة احترام الرجل وصحبه الشديد للرسول والأئمة.

مضت ساعة، ثم ساعتان، وحسن بك يستمع لمشهدي عبدل وهو يتكلم... ثلاث ساعات مضت والرجل جالس.

وبحلول المساء، نهض "حسن بك" وهو مقتنع تماماً بكلام مشهدي وبحقيقة الدعوة الجديدة. إلا انه استل خنجره مرة ثانية، وسار في سوق المدينة وهو ينادي ويحذر الجميع:

اسمعوا يا ناس ما سأقوله لكم..!

إن مشهدي عبدل هو بابي حقاً.. وليس هو فقط، بل الاشخاص الذين سأذكر اسمائهم الآن.. وراح يتلو أسماء المؤمنين الجدد واحداً تلو الآخر. ثم صمت قليلا وعاد ليقول:

أما الجديد في الموضوع والذي ما زال خافيا عنكم، فهو أنني شخصياً آمنت بالدين الجديد صباح هذا اليوم؟ وأقسم بمقدساتي.. أن أي فرد منكم يجرؤ على شتم مشهدي عبدل أو أي فرد من جماعته المؤمنين، سوف لن يلاقي جزاء ذلك مني سوى نصل خنجري هذا!

(28)

" المعلم الأمي و التلميذ العالم "

توقفت مجموعة من علماء الدين المسلمين وهم في طريقهم الى ضواحي مدينة طهران، عند محل حداد لتسمير نعل حمار أحدهم، وكان بينهم العالم الشهير أبو الفضل. أما الحداد الأمي، فكان قدره أن يكون السبب في كشف الحقيقة أمام عيني هذا العالم الجليل.

وقف العالم يراقب الحدّاد وهو منشغل بتركيب نعل الحمار.

لم تمض بضع دقائق، حتى طلب الحداد إذناً من العالم بالسؤال، وعند حصوله على الإذن، سأل:

مولانا.. ما رأيكم؟ هل صحيح أن كل قطرة مطر تنزل من السماء، يحملها مَلَكٌ مقدس الى الأرض؟

أجاب أبو الفضل:

نعم، هذا صحيح.

صمت الحدّاد وعاد لمزاولة عمله، متعمداً ترك بعض الوقت بين سؤاله الأول وسؤاله الثاني، ثم عاد ليسأل:

قل لي يا مولانا:

وهل صحيح ان بيتاً فيه كلب لا تدخله الملائكة؟

أجاب أبو الفضل:

نعم.. نعم، هذا صحيح.

مرة أخرى عاد الحدّاد للصمت ولتكملة عمله. وبعد أن أنهى تثبيت آخر مسمار في يده، إلتفت نحو العالم الكبير قائلاً:

بهذا يا سيدي.. يجب عدم سقوط المطر على بيت فيه كلب!

انتبه أبو الفضل لما أوقعه فيه هذا الأمي من حرج وخجل وارتباك أمام زملائه، باشارته الى الاختلاف بين الجوابين.

وعندما خرج من المحل لمرافقة جماعته من بقية رجال الدين، قال له أحدهم:

لا تعرّ هذا الحدّاد اهتمامك، انه بابي..

ومنذ ذلك الحين.. أثارت هذه الحادثة الصغيرة روح البحث والتقصي في رأس العلاّمة أبي الفضل، وبدأ في التحري عن حقيقة الدعوة الجديدة. ولم يمض وقت طويل حتى آمن ابو الفضل، وأصبح من كبار علماء الدين البهائي.

انتهى

الفهرس

الرقم	اسم القصة	الصفحة
	مقدمة المؤلفة	3
	مقدمة المترجم	8
1	حكاية نعيم وأصدقائه	10
2	انتقام المجتهدين	15
3	رحلة تبليغية	26
4	جلسة تعمق	35
5	قتيل يبعث حيّاً	38
6	الايمان بمحمد(ص)	42
7	اضطهادات مدينة يزد	49
8	إبن بار	55
9	نبوءات تحققت	62
10	السفر الى يزد	66
11	حكاية قرية	69
12	اصابة الهدف	79
13	قضية في محكمة	82
14	رحلة صوفي	84
15	السجين الأخرس	94
16	قصيدة ورقاء	97
17	الاطفال	99
18	الاتصال بالسجناء	107
19	حادثة غريبة	110
20	ضغينة عمياء	113
21	محاورة	116
22	الطفل الشهيد	117
23	شجاعة رجل	133
24	حياة الاعتقال مع ملا رضا	141
25	حفاوة استقبال	144
26	إحياء	145
27	سبل التبليغ	152
28	المعلم الأمي والتلميذ العالم	161
	الفهرس	